

بقلم

د/ عاصم حمدان علي



بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ

الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فقد كانت سنين عجافا في تاريخ الأمة الاسلامية والعربية تلك التي تمتد ما بين ١٤٠٠ ــ ١٤٠٦ = ١٩٨٠م ــ ١٩٨٦م ، ويشاء الله أن تكون هي السنين التي قضيتها دارسا في جامعات بريطانيا ، تنقلت فيها بين أكثر من جامعة ، عشت أثناءها تلك الفواجع التى تركت آثارها وندوبها على نفس كل فرد مسلم يهمه مصير أمته ، وتقلقه صروفها وأحداثها .

فلم أكد أمضي عاما واحدا حتى قامت اسرائيل في عام ١٤٠١هـ بضرب المفاعل النووي العراقي ، واستمعت يومها ــ إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق ــ رونالد ريجان ــ وهو يدافع عن هذا الاعتداء الغاشم ويصفه بأنه كان دفاعا عن النفس ، وعندما قامت رئيسة وزراء بريطانيا ــ «مارغريت تاتشر» في مجلس العموم لتستنكر ذلك الاعتداء ، فإذا بأصوات ترتفع من المقاعد الخلفية للمجلس على ذلك الاستنكار وتؤكد حق المعتدي في ترويع البلد الآمن .

ولم ينقض عام على هذا الحادث الأليم حتى وجدت اسرائيل مجالا آخر تؤكد من خلاله فرض وجودها العسكري ونظريتها التوسعية ، ونحن في عام ١٤٠٢هـ والعام الذي غزت

فيه اسرائيل أرض لبنان ، وكان عالم الشتات في التاريخ الفلسطيني الباسل ، وعام الدماء البريئة ، الطاهرة ، التي تعاون اليهود والمسيحيون ــ معا ــ على إراقتها في مخيمات صبرا وشاتيلا كنا يومها نجلس أمام التلفزيون لنشاهد الأخبار المروعة ، ونتابع تطور الأحداث الدامية والألم يأخذ منا كل مأخذ ، وتزداد مساحة أسئلة الاستفسار عن سر هذا التعاطف الذي توليه المؤسسات السياسية الغربية والأجهزة الاعلامية فيها لهذا النهج النازي الذي تسير عليه دولة اسرائيل العنصرية فلا نكاد نقع على إجابة شافية أو تفسير مرضي .

* وعندما كان يتم ترحيل الفلسطينيين من أرض لبنان وبمساعدة من القوى العظمى في العالم ، قام بعض أفراد الحزب المعارض ينادي بقفل مكتب منظمة التحرير الموجود في لندن ، لماذا يفعلون هذا ؟ أجميعهم يتفقون على محاربة الوجود الفلسطيني ؟ أين هي الديمقراطية الغربية والحرية الفكرية ؟ تلك الشعارات المزعومة التي عشنا على صورها الخلابة قبل أن تطأ أقدامنا أرض هذا البلد ، ويتهاوى البناء ، ويتلاشى الحليم ، لنستيقظ على صور الواقع الأليم الذي لا نقوى على الفرار من وطأته لأنه يستهدف وجودنا كأمة ذات عقيدة وحضارة وتراث .

* وتوالت الأحداث تباعا ، وكان أهمها قبل أن تنقضي سنوات الغربة هو ضرب مقر منظمة التحرير في تونس عام ١٤٠٥هـ ورفض البريطانيون مقابلة الوفد الفلسطيني المكون من /محمد ملحم والياس فريج بعد وصولهم إلى لندن في عام

١٤٠٦هـ ، وكان الرفض الأخير استجابة لضغوط اللوبي الصهيوني في كل من أمريكا وبريطانيا .

* وعندما نذكر اللوبي الصهيوني في الأقطار الغربية فإنه في كثير من الأحيان تنقصنا الدراسة المستفيضة لجذور هذا اللوبي وامتداده في النواحي الفكرية قبل أن تصل آثاره إلى النواحي السياسية والاعلامية ..

* وهذه الفصول التي أقدمها بين يدي القارىء هي محاولة متواضعة في هذا الشأن لا تكتفي بظواهر الأشياء بل تحاول أن تتعمق صور الولاء الغربي للفكر الصهيوني ، وتبرهن على وجوده من خلال الآثار الفكرية والمواقف السياسية ، مؤكدة في الوقت نفسه على ضرورة إيجاد (إعلام إسلامي) ينبثق من عقيدة الأمة وفكرها ليتصدى في قوة ومعرفة للمد الصهيوني الذي لا تزال جذوره تضرب في أعماق المجتمع الغربي ويحتل المواقع الاستراتيجية في أجهزة الاعلام المتعددة .

* بقي أن أشير أن بعض هذه الفصول نشر في صحيفة المدينة المنورة على حلقات متوالية ، والبعض الآخر بقي بين أوراقي فلما عزمت على إخراج هذا الكتاب أضفته إلى الحلقات السابقة .

* ويعود الفضل إلى فكرة إخراج هذا الكتاب إلى معالي أمين عام رابطة العالم الاسلامي الدكتور عبد الله عمر نصيف ، الذي أتوجه إليه بخالص الشكر على اهتمامه ومتابعته ، كما أشكر أستاذنا الفاضل أحمد محمد جمال ، على ما أبداه من

توجيهات واقتراحات وكذلك صديقي الدكتور عدنان محمد وزان ، على متابعته الكريمة .

والله ولي التوفيق

د. عاصم حمدان علي
كلية الآداب جامعة الملك عبد العزيز

الفصل الأول

النواحي الفكرية

(١) التغلغل الصهيوني في أوروبا
اتجاهاته وآثاره

* إن يكن وعد «بلفور» بإنشاء وطن قومي لليهود قد حاز موافقة جماعية من ممثلي الأحزاب السياسية العاملة ــ آنذاك ــ في المملكة المتحدة البريطانية فإنه لم يعرف بصورة علنية ــ يومها ــ ذلك التاطف الخاص الذي أبدته الحركة العمالية البريطانية تجاه طموحات الصهيونية العالمية قبل أن يصبح ذلك الوعد سياسة بارزة ، يتبناها أولئك الذين يحرصون على كسب الرأى العام في مجتمعهم لقد وافقت الحركة العمالية البريطانية في اجتماعها المنوي الذي عقدته في شهر ديسمبر من عام ١٩١٧م ، وفي مدينة لندن ، على البيان التالي :

(إن الحركة العمالية البريطانية تظهر رغبتها في تخليص أرض فلسطين من الحكم العثماني الغاشم ! في سبيل إنشاء دولة حرة لأولئك اليهود الذين يرغبون في العودة إلى تلك الأرض ، ولربما عمل ذلك على إنقاذهم من أى تدخل جنسي أو ديني)[1] ولم تكتف الحركة العمالية بإصدار هذا البيان الذي لم يراع عدلا أو عرفا ، ولكنها قامت بعرضه على الاجتماع السنوي للأحزاب الاشتراكية والعمالية لدول الحلفاء في شهر فبراير من عام ١٩١٨م ، ولقد قامت هذه الأحزاب بتبنيه دون نقاش أو معارضة إن الوعود التي قدمتها الحركة العمالية قد اقترنت بالتطبيق الفعلي كلما تمكنت الأولى من الوصول إلى مجال السلطة التنفيذية لقد حدث هذا مثلا عندما تكونت ثاني حكومة أقلية عمالية بالمملكة المتحدة في عام ١٩٢٩م ، وبقيادة «رامزي ماكدونالد» لقد قام هذا الأخير بانتزاع أمر الشؤون الفلسطينية من يد وزير حربيته «سيدني ويب» وتسليمها للجنة وزارية خاصة ولقد أعطيت هذه اللجنة كامل السلطة في مناقشة الأمر مع لجنة من الوكالة اليهودية ، ولقد قامت اللجنتان بكتابة رسالة طويلة للدكتور «وايزمان» الذي اتينا على ذكر نشاطه الصهيوني في الحلقة الأولى من هذه الدراسة ثم قام رئيس الوزراء ــ انذاك ــ «ماكدونالد» وفي عام ١٩٣١م بتوقيع هذه الرسالة التي اعتبرت فسخا لما يسمى بالورقة البيضاء وتتمثل أهمية هذه الرسالة في السماح للمهجرة اليهودية إلى أرض

---

1) PAUL GOODMAN, THE JEWISH NATIONAL HOME 1917-1942 LONDON, 1943 PP — 111 — 123

فلسطين أن تصل إلى معدل أربعين ألف مهاجر لعام ١٩٣٤م ، واثنين وستين ألف مهاجر لعام ١٩٣٥م ، ويعلق «وايزمان» على هذا الأمر بقوله «إنها مسألة تعتبر ضربا من الحلم في عام ١٩٣٠» ولقد تمكنت الحركة الصهيونية العمالية خلال الفترة الزمنية ١٩٣٠ ـ ١٩٤٠ ، من تقوية مواقعها تدريجيا داخل الحركة العمالية البريطانية حتى استطاعت في نهاية الأمر أن تكون مؤثرا فعالا في المسارات التي تنتهجها هذه الحركة ، ويمكن التدليل على هذا التغلغل الرهيب من خلال فقرات القرار الذي اتخذته اللجنة التنفيذية لحزب العمال في عام ١٩٤٤م ، ثم تبناه الحزب في اجتماعه السنوي «حقا إن فلسطين قضية ، وانطلاقا من مبادىء إنسانية فلابد من دعم استقرار دائم وهذا لا يمكن تحقيقه إلا من خلال تحول سكاني ؛ شجعوا العرب على الهجرة من الأرض ، ودعوا اليهود تستقر فيها وعلى هذا الأساس فلابد من تنظيم ذكيّ للهجرة العربية حتى تستقر في موطن آخر ، يجب علينا ألا ندع العرب يقفون في وجه اليهود الذين يتطلعون إلى الاستقرار في هذا الجزء من فلسطين ، كما يجب علينا مناقشة إمكانية مشروع ضم بعض الأراضي العربية الأخرى من الدول المجاورة لتصبح جزءا من فلسطين»[1] .

هذه فقرات من ذلك القرار الذي لم يراع فيه أبسط القواعد الانسانية التي تحكم العلاقات بين الأمم والشعوب ، والأدهى من ذلك أن لغته ومضمونه يكشفان بوضوح عن تطرف

1) CHRISTOPHER MAYHEW, MICHAEL ADAMS: THE MIDDLE EAST COVER UP
LONDON, 1975 P, 31

مشين ، وتعصب مقيت لصالح الحركة الصهيونية التي شعرت بأن قرارا كهذا ذهب إلى أبعد مما يمكن توقعه من رواد الحركة العمالية والذين تجاوزوا في حماسهم الصهيوني ذلك الحماس الذي يمكن أن يبرزه اليهود أنفسهم تجاه قضيتهم ، ولكن هذا القرار الغير إنساني كانت له آثاره السيئة فيما بعد على الشعب الفلسطيني الأعزل الذي لم تؤخذ حقوقه التاريخية وتطلعاته الانسانية في اعتبارات أولئك الساسة الذين نصبوا أنفسهم حكاما في قضية لا يعلمون من حيثياتها وحقائقها شيئا ، بل لم يبذلوا أى جهد في سماع وجهة النظر الأخرى وهم الذين ينتسبون إلى منظمة تدعي في جملة ادعاءاتها الباطلة وقوفها إلى جانب الشعوب المقهورة والعمل على نشر مبادىء الخير والعدالة ، إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه هنا .. ما هو سر هذا الحماس المفرط والتعصب الأعمى للحركة الصهيونية من قبل الحركة العمالية البريطانية ، والاجابة تأتي من بعض الباحثين إنه الولاء المزدوج الذي وجد عند بعض رجال السياسة والفكر الأوربي ، ذلك الولاء الذي نجحت الحركة الصهيونية في استثماره لخدمة قضاياها وتوجيهه وجهة غير إنسانية ، وسوف نتبع ـــ إن شاء الله ـــ في الحلقات القادمة هذا التيار الخطير وآثاره مدعمين ذلك ببعض الآثار الفكرية والشواهد التاريخية .

(٢) التغلغل الصهيوني في أوروبا
اتجاهاته وآثاره

* لقد أشرنا في المقالة السابقة إلى قضية ما يسمى «بالولاء المزدوج» عند بعض ساسة ومفكري العالم الأوروبي تجاه الحركة الصهيونية هذا الولاء هو القاعدة القوية التي تعتمد عليها هذه الحركة العنصرية في كل سياساتها التعسفية والعدوانية التي تنتهجها ، ولقد حمل أعباء هذا الولاء أول ما حمله نفر من أعضاء الحركات العمالية في العالم الغربي ، يأتي في مقدمتهم شخصيات من الحركة العمالية البريطانية ، ولهذا فإنه ليس من المستغرب أن نجد السفاح الصهيوني «مناحم بيجين» يصور في مذكراته مقدار الثقة التي توليها الحركة الصهيونية العالمية للحركة العمالية البريطانية عندما استطاعت الأخيرة الوصول إلى سدة الحكم بأغلبية ساحقة في انتخابات عام ١٩٤٥م ، يقول ذلك الارهابي : «ولهذا هبت عاصفة من الفرح في الأوساط اليهودية عند وصول الأنباء بسقوط تشرشل وايدن في الانتخابات .. ولقد عزا المتفائلون ابتهاجهم وتفاؤلهم إلى الصداقة التقليدية التي ترتبط الصهيونية العالمية بحزب العمال البريطاني[١] .

ولقد تسربت جهود الحركة الصهيونية بعد هذه الانتخابات إلى أعماق الحركة العمالية البريطانية ، بل استطاعت أن تحكم

---

(١) يوميات الارهاب مناحم بيجين .
ترجمة وتقديم معين أحمد محمد ، ط ٢ ، بيروت ، ١٤٠٣هـ ، ص ٧٥ .

سيطرتها على لجنة السلطة التنفيذية للحركة نفسها بالعمل على ترشيح أحد المتطرفين في تأييد الصهيونية ليكون رئيسا لهذه اللجنة بين عامي ١٩٤٥ /١٩٤٦م وهو البريفوسور «هارولدلسكي» الذي أعلن بصراحة أنه يحاول تنظيم جبهة معارضة لرئيس الوزراء ــ انذاك ــ «كليمنت اتلي» ووزير خارجيته «ايرنيست بيفين» ، وذلك ــ على حد تعبيره ــ لخيانتهما للمطالب اليهودية .

ولم يسلم «بيفن» الذي لم يكن بحال من الأحوال عدوا لليهودية أو الصهيونية من هجوم متتابع شنته عليه الحركة الصهيونية حتى بعد وفاته ، ولقد حدث هذا في سبتمبر عام ١٩٧٠م ، وفي الاحتفال الذي أقامته الجمعية الصهيونية التابعة للحركة العمالية بمناسبة مرور خمسين عاما على تأسيسها[1] ، وعلى مسمع من رئيس الحزب «هارولد ويلسون» صاحب الولاء المطلق للدولة العنصرية الصهيونية ، لقد تولى هذا الهجوم على «بيفين» عضو من أعضاء الحركة العمالية يدعى «اين بيكاردو»[2] ولم يزد على أن ردد نفس التهمة التي حاول «لسكي» من قبل إلصاقها بـ «بيفين» ولعله من الطبيعي أن نتساءل إذا لم يكن «بيفين» في حقيقة أمره عدوا للصهيونية أو «اليهودية» فلماذا هذا الهجوم العنيف عليه من الحركة الصهيونية ؟ .

1) THE MIDDLE EAST COVER-UP P, 35

(٢) لا يزالُ عضوا عَامِلًا في حكومة الظِّل البريطانية العُمَّالية ، ويقوم دوما بدوره الصهيوني ، في مجلس العموم البريطاني بالدِّفاع عن قضايا الصهيونية والنيل من الشعب الفلسطيني .

إن الاجابة يمكن اختصارها في أن هذا الرجل لا يحمل في شخصيته ما يسمى «بازدواجية الولاء» تلك العقيدة التي تسعى الصهيونية في أن تنشيء عليها أولئك الذين يفترض فيهم صنع القرار السياسي والفكري ، ولا تكتفي الصهيونية في أن تصاب هذه الشخصيات المعنية بهذا المرض المخيف وهو الانشطار في الولاء بين المجتمعات التي تنتمي إليها والحركة الصهيونية ، بل تتطلع وتعمل على أن تكون الأولوية في هذا الولاء من حق الدولة العنصرية الصهيونية ، وذلك بلاء عظيم وشر مخيف .

(٣) التغلغل الصهيوني في أوروبا
اتجاهاته وآثاره

* إن المواجهة الحضارية بين الاسلام كونه ديناً أثبت على مر العصور التاريخية عدالته وسماحته في التعامل مع الشعوب والأديان الأخرى ، وبين الحركة الصهيونية التي تستخدم في الظاهر وإخفاء كل الأساليب الملتوية في سبيل فرض تعاليمها العنصرية على نماذج مختلفة من الناس ، لقد استطاعت الصهيونية منذ تأسيسها على يد «تيودور هيرتزل» في عام ١٨٩٧م أن تسخر الكثير من الشخصيات الأوروبية التي كانت خائرة بحكم طبيعتها أو أنه اعتراها شيء من الخور عندما تسلطت عليها القوى الصهيونية نفسها ، فإذا بتلك الشخصيات التي يفترض فيها التبصر والحكمة تحيد عن

الطريق السوي وتحمل مجتمعاتها على الانقياد إلى تلك القوى من تعاليم جائرة وأنه من واجبنا نحن المسلمين ــ أن نعرف حق المعرفة ذلكَ العدو الذي يتربص بنا في كل مسلك أن نعرفه ونعرف أولئك الذين يدفعونه من الخلف ويمهدون له الأمام ويبصرونه بما لا يعلم من أمورنا ، وإنهم بهذا لأشد ضررا وأنكى بلاء ، والشخصية التي نريد أن نحيط بشيء من أبعادها في هذا الموضوع ، هي شخصية لعبت دورا هاما إن لم يكن قياديا في الانتصار للصهيونية ودولتها بل وضللت عن طريق الصحافة والاعلام ملايين من عامة الناس ، ضللتهم عن معرفة ما يجب أن يعرفوه عن مأساة الشعب الذي شرد ، وظلم ، ضللتهم هي بتلك الهالة الأسطورية التي أحيطت بها من قبل الزعماء الصهاينة الذين ربما أصابتهم الدهشة من أن رجلا لا يمت إليهم بصلة نسب أو عقيدة هو من أكثر الناس ولاء للاتجاهات المنحرفة التي يدعون لها ، ولا يكفيه أن يعلن ذلك في الولاء في كل مناسبة بل هو يعمل بكل جُهوده على أن يحمل عليه بني قومه لقد فعل ذلك الزعيم العمالي البريطاني «هارلود ويلسون» منذ أن استطاع أن يقود حزبه في انتخابات عام ١٩٦٤م ليشكل أول حكومة عمالية بعد الحرب العالمية الثانية لقد أحاط ويلسون نفسه منذ البداية بمجموعة من اليهود الصهاينة .. كان منهم الوزراء والمستشارون والناشرون والعاملون في ميدان الصحافة إضافة إلى مجموعة أخرى دعاها بالأصدقاء الخلص ولم يأت عام ١٩٧٤م إلا وغالبية عظمى من اليهود ذوي الاتجاهات الصهيونية تتمتع بتمثيل عمالي لقطاعات كبيرة من

الشعب البريطاني وعندما زار «ويلسون» القدس المحتلة في ٢٧ ديسمبر من عام ١٩٧٢م وكان يومها زعيما للحزب المعارض تحدث منددا بأتييد الحكومة البريطانية للقرار الجماعي الذي اتخذته هيئة الأمم المتحدة في الثامن من ديسمبر من العام نفسه والذي دعا الصهيونية إلى الالتزام بمبدأ عدم ضم الأراضي المحتلة بالقوة وإن احترام حقوق الفلسطينيين عامل هام في قيام سلام عادل في الشرق الأوسط وطلب منها الكف عن الأساليب الرامية إلى تغيير البناء الديموغرافي والملامح الطبيعية للأراضي العربية المحتلة .. ولقد كانت لـ ويلسون هذا مواقف أخرى أثبتت فيها مناصرته للصهيونية دون منطق أو مناقشة متناسيا أن المنبر العمالي الذي اعتلاه يؤكد بالقول فقط وقوفه في وجه الحركات العنصرية التي تظلم الشعوب وتسلبهم حقوقهم وهل من حركة في العالم تتمثل فيها الخصائص العنصرية مثل تمثلها في الصهيونية ؟ إنه موقف شاذ وغريب ولكن هناك مواقف أكثر شذوذا وأعظم غرابة سوف نتتبعها في هذه الدراسة ــ والله ولي التوفيق .

(١) من ملامح التأثير الصهيوني في الفكر الأوروبي

* لئن تمكنت الصهيونية في العصر الحديث من تنفيذ بعض مبادئها الفاشية في التنكيل بالشعب الفلسطيني المسلم الذي صادرت أرضه وسلبت حقوقه ، وزجت بشبابه في

السجون ، وتعقبت أنصاره في كل أنحاء العالم لتقتلهم حيث تجدهم فإنها لم تفعل ذلك إلا لأنها تعلم علما لا يساوره شك في أنها لن تتمكن يوما من مسح الشخصية العربية والاسلامية ، أو إحكام السيطرة عليها فكريا ونفسيا .

* إلا أنها تستطيع التسلل إلى بعض المجتمعات الأوروبية فتتخير صفوتها ثم لا تلبث أن تتعهد هذه الصفوة بالرعاية وتبث فيها ما تعتقده من مبادىء وأنها لتختار وسائل جذابة في عرض تلك المبادىء ، فهي تعرف أن العقلية الأوروبية مأخوذة بما يسمى — افتراء — بالعدالة والمساواة في المجتمع ، إذن فلترسخ مبادئها عن طريق تلك المفاهيم لا ضير عليها من بعد أن تكون الحقيقة نقيض ما حاولت عرضه أو الدعوة إليه .

* ولقد كان لوجود اليهود داخل المجتمعات الأوروبية وتمتعهم بقدر كبير من النفوذ المالي والاجتماعي دوره في بث المبادىء الصهيونية بين كثير من أفراد المؤسسات السياسية والفكرية والأدبية المختلفة ، والذين حرصت الصهيونية على ضمهم لحظيرتها الفكرية الموبوءة فمنحتهم عضوية دائمة في مؤسساتها فحققت لهم ما يصبون إليه من مكانة وشهرة ، ولقد كان ذلك وحدة كافيا في أن تتمتع الشخصية الصهيونية في الفكر والأدب الأوروبي الحديث بصورة أسطورية عجيبة تناقض تلك الصورة القديمة التي حاولت بعض الكتابات الأدبية إبراز مظاهرها السيئة من جشع وبخل كشخصية «بشيلوك» في المسرحية المعروفة «تاجر البندقية»(1) للكاتب الانجليزي «وليم

---

1) THE MERCHANT OF VENICE
EDITED BY JOHN RUSSELL Great Britain 1984

شكسبير» ١٥٦٤ ـــ ١٦١٦م .

* وهناك مجال فكري آخر يستطيع الباحث أن يدرك منه مدى الصلة الوثيقة بين بعض الشخصيات الأوروبية البارزة والفكر الصهيوني ، بل ولا يعدم منه الشواهد على تواطؤ هذه الشخصيات ـــ نفسها ـــ مع الحركة الصهيونية في تحقيق مآربها الاستعمارية ، وذلك المجال هو ما يعرف «بالمذكرات الخاصة» التي يدون فيها أصحابها بكل تفصيل ما يجري في حياتهم الخاصة والرسمية من أحداث ، وما يعتقدونه من رأى ، وما يضطلعون به من دور .

وسوف نشير في الفصل التالي إلى بعض الأمثلة من هذه المذكرات ، وهدفنا هو الكشف عن حقيقة التوجه الصهيوني في عدائه للأمة العربية والاسلامية ، وتعرية أنصاره الذين كثيرا ما برزوا لنا في دور الصديق أو الناصح وظلوا هناك في الخفاء ينشدون تراتيل النصر لأبناء صهيون .

(٢) من ملامح التأثير الصهيوني في الفكر الأوروبي

* يعتبر المفكر أو الزعيم الأوروبي أن كتابة المذكرات اليومية واجب وطني يجب أن ينهض به ونشاط ثقافي له قراؤه الذين يدرسون من خلاله تاريخ أمتهم في حقبة زمنية معينة ، كما يعكس هذا الفن الأدبي قدرة الكاتب على تحليل الأحداث الهامة التي عايشها أو شارك في صنع قرارها بحكم مسئولية

أنيطت به ، أو دور اجتماعي تطوع لأدائه ، وربما دعى بعض هؤلاء الرواد من يثقون فيه من كتاب أو محررين فزودوهم بالعلومات والوثائق وعهدوا إليهم بكتابة أدق التفاصيل عن حياتهم العلمية والوظيفية ، وما ارتبط بهذه الحياة من تجارب شخصية ربما تأرجحت بين القوة والضعف ، والنجاح والفشل .

ومن أهم المذكرات الشخصية التي نستطيع أن نتبين من خلال جزئياتها مدى تأثر بعض المفكرين والكتاب الأوروبيين بالفكر الصهيوني وحرصهم على الدفاع عن مؤسساته ودولته العنصرية ، هي مذكرات الكاتب ، والشاعر ، والمنظر العمالي البريطاني «ريتشارد كروس مان» ١٩٠٧ ـــ ١٩٧٤م الذي تخرج في الكلية الجديدة بجامعة اكسفورد ، ثم أصبح واحدا من أشهر المحاضرين فيها ، وكان موضوع محاضرته هو «ألمانيا والخطر النازي» مما أعطاه الفرصة ليصبح عميدا للكلية التي تخرج فيها وفي عام ١٩٤٥م انتقل إلى عالم الصحافة ليصبح محررا في مجلة «رجل الدولة الجديد» إلا أن فوز حزب العمال البريطاني في انتخابات ١٩٦٤م هيأ له الفرصة ليصبح أحد أعضاء هذه الحكومة التي استمرت إلى نهاية عام ١٩٧٠م وعاد «كروس مان» في عام ١٩٧٢ ليتولى رئاسة تحرير المجلة التي كان أحد أفراد تحريرها من قبل لمدة تقرب عقدين من الزمن .

لقد اقترن «كروس مان» في مطلع حياته من امرأة يهودية وربما كان لهذا الاقتران أثره البالغ في الاتجاه الصهيوني الذي التزم به ، فلقد اعترف في أواخر حياته «أن أعظم عمل قدمه

خلال حياته العملية هو توجهه الصادق لخدمة الصهيونية»[1]
كما أشار في ثنايا مذكراته أنه كان يحرص على حضور اجتماعات الحركة الصهيونية وأن زملاء له من الحركة العمالية كانوا يشاطرونه هذا الحضور ، ويصف لنا ـــ أيضا ـــ كيف أنهم كانوا يتسابقون إلى إلقاء الخطب في هذه الاجتماعات ، وربما أدى بهم هذا التسابق إلى التفاخر بالمستوى الذي استطاع كل فرد منهم الوصول إليه في تعصبه للحركة[2].

ويشير كروس مان إلى موقفه الصريح من حرب ١٩٦٧م العربية ـــ الاسرائيلية ولا يرى داعيا لأن يخفي شعوره المناصر للدولة العنصرية الصهيونية باستقباله لبعض ممثليها الرسميين وفرحته بلقائهم في تلك الظروف الحرجة التي أحاطت بالحرب ونتائجها ، وتكفي هذه الناحية الأخيرة للتدليل على الفكر الأهوج الذي كان يحمله هذا الرجل ، فولاؤه للصهيونية لم يحمله فقط على إغفال وإلغاء وجهة النظر الأخرى في هذا الصراع ولكنه انحرف به إلى المسار الذي يفقد مع الشخص ولاءه لمجتمعه وحضارته ، ليصبح واحدا من أولئك الذين تفخر الصهيونية بأنها سلبتهم عقولهم وأماتت ضمائرهم .

---

(١) DIVID CHILDS
Britain Since 1945,
LONDON, 1984, P. 161

(٢) • THE CROSS MAN DIARIES
LONDON, 1981, P. 353

(٣) من ملامح التأثير الصهيوني في الفكر الأوروبي

* يتسابق اليوم زعماء ومفكرو العالم الأوروبي على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم في التعبير عن الولاء للحركة الصهيونية ومن أمثلة ذلك التسابق حديثهم المزعوم عن الاضطهاد الذي يتعرض له اليهود في أنحاء مختلفة من العالم ولربما تضمنت أوراق العمل المشتركة بين زعماء بعض الدول الأوروبية ونظرائهم من الدول الأخرى التأكيد على حق الهجرة لتلك الأقليات اليهودية إلى ما يسمونه افتراء بأرض الميعاد في الوقت الذي يتمتع فيه هؤلاء اليهود بامتيازات اقتصادية واجتماعية في معظم الدول التي يعيشون فيها لا يماثلهم فيها حتى أولئك الذين يعتبرون أنفسهم المواطنين الأصليين لتلك البلاد .

* إن هذا التسابق والدفاع عن الكيان الصهيوني له جذوره التاريخية والفكرية في المجتمعات الأوروبية وهو تيار مستمر ومتدفق منذ أن انبثقت الحركة الصهيونية إلى الوجود ونالت من الدعم الأوروبي ما لم تنله أى حركة أخرى في تاريخ الحضارة الانسانية على الاطلاق وأن الدارس لتاريخ الفكر الأوروبي ليصاب بخيبة أمل عندما يتمعن في بواعث تلك المواقف التي نهض فيها زعماء أوروبا أو مفكروها للدفاع عن الكيان الصهيوني الغاشم أو تحليل تلك الكتابات التى تكشف عن مدى إعجابهم المفرط ببعض الزعماء الصهاينة الذين كانوا يستغلون المجتمعات الأوروبية في تحقيق طموحاتهم السياسية

والاجتماعية بينما تنطوي قلوبهم على حقد دفين لهذه المجتمعات وشعوبها .

* ولقد استشهدنا في الحلقة السابقة على مدى تأثير الفكر الصهيوني على بعض المفكرين الأوروبيين ومدى تعصب هؤلاء المفكرين لهذا الفكر وتحاملهم على الفكر الاسلامي والعربي استشهدنا على ذلك بالكاتب ريتشارد كروس مان ١٩٠٧ — ١٩٧٤م والآن نأتي على زميل آخر له هو المفكر والمنظر العمالي مايكل فووت ١٩١٣ الذي درس الفلسفة والاقتصاد والسياسة في جامعة اكسفورد البريطانية ونال بعد ذلك مكانة مرموقة في الصحافة الانجليزية حيث أصبح في عام ٩٤٣م رئيسا لتحرير صحيفة «ستاندرد المسائية» ثم انتقل إلى صحيفة «تريبيون» إلا أن طموحات «فووت» لم تقف به عند عالم الصحافة ولكن حملته في عام ١٩٤٥م إلى مجلس العموم البريطاني ليكون ممثلا عماليا عن منطقة «ديفين بورت»[١] وبعد سلسلة من المناصب الهامة في هذا الحزب شغل فووت منصب نائب رئيس الحزب ثم رئيسا للحزب في عام ١٩٨٠م حتى استقالته في عام ١٩٨٣م بعد هزيمة الحزب في الانتخابات العامة .

* لقد عرف فووت بين زملائه بالقدرة على الحديث المؤثر في تلك الاجتماعات التي يقوم فيها خطيبا بحكم عمله الرسمي في حزب العمال حتى وصفه البعض بأنه كان أحد

---

(١) 1) MICHAEL FOOT,: ANOTHER HEART AND OTHER PULSES, LONDON 1984.

الذين تمكنوا من السيطرة على اللغة الانجليزية التي يصفها أهلها بأنها لغة غريبة ولقد استغل فووت هذه المقدرة فسخرها في مطلع حياته للدفاع عن الارهابيين اليهود الذين كانوا يرتبطون بمنظمة «الهاغاناه»[1] وهي منظمة سرية عسكرية ولقد ارتكبت هذه المنظمة أعمالا إرهابية في فلسطين المحتلفة في عهد الانتداب البريطاني مما دفع بالحكومة البريطانية لاعتقال بعض أعضاء المنظمة في عام ١٩٤٦م .

* لقد سجل فووت على نفسه موقفا سلبيا يتنافى مع أبسط القواعد المنطقية عندما دافع عن أعضاء هذه الوكالة اليهودية الارهابية فدعاهم بالرفقاء الذين كان يرحب بهم حزب العمال عند حضورهم لاجتماعاته السنوية كما طالب الحكومة بإطلاق سراحهم دون مناقشة أو محاكمة .

(٤) من ملامح التأثير الصهيوني في الفكر الأوروبي

* لقد كشفت أيضا بعض مؤلفات الكاتب «مايكل فووت» عن ميوله الصهيونية الحقيقية فلقد تحدث في كتابه (ديون التكريم)[2] عن شخصية الكاتب الروائي والزعيم اليهودي «بينجمين دي زرائيلي» ١٨٠٤ ــ ١٨٨١م الذي اعتبره الدارسون مبشرا بالتعاليم الصهيونية منذ أن ظهرت روايته

(١) 1) BRITAIN SINCE 1945, P. 49

(٢) 2) MICHAEL FOOT: DEPTS OF HONOUR LONDON, 1980.

المعروفة «الرُّؤى» عام ١٨٣٣م[1] أى قبل حوالي خمسين عاما من ظهور الصهيونية كحركةٍ سياسية .

* يحاول «فووت» في مقالته التي ضمنها كتابه المذكور عن حياة «دي زرائيلي» والتي اختار لها عنوانا مثيرا هو (المحافظ الطيب)[2] والمحافظ هنا نسبة إلى حزب المحافظين ، يحاول أن يجعل منه شخصية أسطورية تتسم بالصفات المثالية وتعتنق مبدأ التسامح الديني إلا أنه في المقالة نفسها يعرج على تمسك هذه الشخصية بتقاليدها اليهودية في كثير من القضايا ويخص منها المظهر واللباس وهي أمور يوليها الصهاينة من اليهود كثيرا من الاهتمام ولا يفرطون في شيء منها وهذا التمسك الذي ربما رأى الكاتب فووت فيه جانبا مضيئا من جوانب هذه الشخصية ينقض ما يحاول الكاتب نفسه وغيره من الكتاب والمفكرين من بني جنسه من التأكيد عليه — زورا وبهتانا — وهو أن أولئك اليهود الذين تسنموا أعلى المراكز في المجتمعات الأوروبية كانوا على قدر كبير من التسامح وسعة الأفق والابتعاد عن العنصرية وهي دعوى لا تثبت أمام حقائق الماضي والحاضر معا التي تبرهن على أن ولاءهم ينصرف دائما على عقيدتهم الصهيونية التي تحرم عليهم التمثل بتلك الصفات التي يحاول الآخرون — نفاقا — أن يخصوهم بها دون غيرهم من شعوب الأرض وتلك مأساة من مآسي الفكر الأوروبي جديرة بالدراسة والتحليل .

---

(١) HANI AL-RAHEB,:THE ZIONIST CHARACTER IN ENGLISH NOVEL LONDON, 1980, P, 39

(٢) THE GOOD TORY.

من وسائل الحركة العنصرية الصهيونية

* تتعدد الوسائل والطرق التي تحارب بها الحركة الصهيونية الاسلام وأهله وهي لم تكتف ــ في الوقت نفسه ــ بمواجهة العالم كله بهذه الوسائل الدنيئة التي تستخدمها وبتلك الطرق غير الإنسانية التي تسلكها ، بل إنها تحاول أن تضفي طابع الطهر والسلام على ما تقوم به من جرائم ، وتعطيه صفة الشرعية التي يجب ألا تقهر أو تطاول ، انطلاقا من أن أى نقد يوجه للحركة الصهيونية هو مما يمكن إدراجه فيما يسمى «بعداء السامية» ويمكن أن يؤدي بصاحبه إلى المحاكمة القضائية كما حدث للعالم المسلم الفرنسي «رجاء جارودي» عندما أصدر كتابه «ملف إسرائيل» فقد تعرض للمحاكمة والتهديد والقتل ، ولقد تسللت الصهيونية بهذا السلام المخيف «عداء السامية» إلى أخطر سلاح في هذا العصر وهو الاعلام فتمكنت من السيطرة على مؤسساته وقنواته .. وهذا بدوره أدى إلى انخداع الانسان الأوروبي الذي يتلقى معلوماته وثقافته عن طريق هذه المؤسسات ، إلى انخداعه بتلك الصورة الزاهية التي رسمت أبعادها عن الصهيونية ودولتها ، وما فتئت تكرر له القول في خبث ودهاء إن هدفها الأساسي هو تحويل الصحراء الجرداء إلى جنات عدن التي سوف ينعم بها كل فرد بغض النظر عن دينه وعرقه وإن هذا التحويل الاقتصادي يصاحبه تحويل آخر في تثقيف شعب هذه الأرض والانطلاق به إلى عوالم الحرية الفكرية ، وهي أباطيل بدأت تتكشف لكل أولئك الذين لم تنطل عليهم الدعاوي الكاذبة واعتمدوا على تجاربهم الشخصية

في الوصول إلى الحقيقة عن وضع الشعب الفلسطيني المكافح الذي يحرم من حقوقه في بناء المدارس والمستشفيات .. بل وتصادر ممتلكاته ، ويمنع من الحصول على الأشياء اللازمة لحياته ، هذا قليل من كثير عن معاناة هذا الشعب المسلم والعربي ، والذي استطاع أن يتحسسه أحد أعضاء البرلمان البريطاني ، كلير شورت وأشير إليه في مقال مقتضب في صحيفة «الجارديان» في عدده الصادر في اليوم السادس من شهر مارس ١٩٨٦م .

لقد شُرِّد جزء كبير من هذا الشعب المناضل من الأرض التي سكنتها أجيال متلاحقة منه على مدى عشرات القرون ، ثم لا يسمح له بالعودة إليها ، ولقد أعلنت الصهيونية عن فشلها الذريع في تغيير هوية الشعب الفلسطيني الذي يعيش بعزة وكرامة فوق أرضه المحتلة لقد ظنت الصهيونية أن ما تسميه بعملية تحديث حياة الفلسطينيين سوف يدفع بولائهم لذلك الكيان غير الإنساني الغاشم ، فإذا بها تجد أن ذلك الولاء لا يذهب إلا للأرض التي أحبوها والتراث العربي الذي آمنوا به واعتنقوا مبادئه ، لقد أصابها اليأس القاتل عندما تكشف لها أن الخطر الحقيقي على كيانها المتداعى يكمن في عقول أولئك المثقفين من الشباب الفلسطيني الذين يتعلمون اللغة العبرية ليستخدموها سلاحا في نضالهم الطويل ضد وجودها غير الشرعي الذي تحاول أن تحميه من السقوط تلك القوى التي ارتضت لنفسها أن تكون في موضع العبد الذليل ، لقد جاء التصريح عن هذه الحقائق المرة والتي تحاول الصهيونية إخفاءها عن مسمع العالم

الذي خدعت بعض دوله بأكاذيبها ، وصفقت أحيانا لبطشها ، جاء ذلك التصريح على لسان الحاخام «الصهيوني كاهانا» والذي يؤمن بأن الدولة الصهيونية ما هي إلا دولة عنصرية ولهذا فهو يدعو لطرد السكان الأصليين من العرب أينما وجدوا داخل الأراضي المحتلة ولقد أعلن أن دعوته هذه ما هي إلا نتيجة لحقيقة مؤلمه في نظره — وهي «إنك لا تستطيع شراء العرب وهذا فقط في حد ذاته يدعوك أن تحترمهم» بل ذهب إلى القول — كما نقلته عنه المجلة القومية البريطانية في عددها السادس والثلاثين فبراير ١٩٨٦م — «لو فكر أحد في أنه سوف يتمكن من شراء الكبرياء القومي لأولئك الذين نسميهم — غير المتعلمين — من العرب عن طريق تحديث حياتهم ، فإن ذلك الشخص الذي عرض له مثل هذا التفكير يجد نفسه في وضع سيىء وبائس .

إن إعلان الصهيونية العنصرية عن فشلها الذريع في تغيير حقيقة الشعب الذي يؤمن بعدالة قضيته .. ولم يسمح لأحد أن يطال كرامته ، هو الدليل الأكيد علي أن القضية تعيش في قلوب أبنائها حية نضرة ترتوي من منابع الايمان الخالد ، وأن أبناء القضية والأرض هم أفراد أمة الاسلام والعروبة التى أمرها دينها الحنيف بأن تنبذ الظلم ولا تستسلم للعدوان .

النظامان العنصريان والغرب

* يتعامل العالم الغربي ممثلا في مؤسساته السياسية والاعلامية والاجتماعية مع النظامين العنصريين في جنوب أفريقيا

وإسرائيل ، بنظرة يمكن وصفها بالازدوجية ومقياس يتناقض مع أحكام المنطق العلمي ، فبينما يقوم بتوجيه النقد في كثير من المناسبات للممارسات العنصرية التي تقوم بها حكومة الأقلية البيضاء في جنوب أفريقيا نراه يحجم عن أى خطوة يمكن تفسيرها بأنها إدانة لما تقوم به السلطات الاسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني ، لأن الغرب دأب — من منطلق ديني — على العمل على تثبيت نظرية وهمية عن الشعب اليهودي ، وهي أنه : شعب مبرأ من الخطأ وإن ذلك ينسحب على دولته التي ظل العالم الغربي يتحدث عنها بمثالية رومانسية وهي مثالية بعيدة عن كل موازين الحق والحقيقة ، وحتى ندلل على هذه الازدوجية الغربية في التعامل مع هذين النظامين العنصريين ، يمكننا أن نوجز هنا أوجه الشبه بينهما :

* كلا النظامين يعامل هيئة الأمم المتحدة بغطرسة ، وعنجهية ، وينتهك دوما دستورها ولا يحترم قراراتها .

* كل منهما يعمل على إظهار نفسه للدول الغربية بأنه يعمل على الحد من انتشار الفكر الشيوعي في منطقته ، بينما هو في واقع الأمر يبارك هذه الأيديولوجية في الداخل والخارج .

* يمثل نظام «بريتوريا» والنظام «الاسرائيلي» الدور الاستعماري الذي يتحكم في مصير شعوب مناطق تمكن من احتلالها عن طريق الاغتصاب والقوة .

* كلاهما لا يملك أى حق قانوني أو معنوي في المناطق التي احتلها اغتصابا .

* كلاهما يستعمل القوة العسكرية الوحشية عند تعامله مع

شعوب هذه المناطق المحتلة .

* بينما تقوم سلطات جنوب أفريقيا بتوطين السكان الأفارقة ــ في مناطق خاصة دون أن تعمل على إخراجهم من وطنهم ، تقوم السلطات الصهيونية بترحيل السكان غير اليهود من منازلهم وإبعادهم عن وطنهم .

* تنفرد الدولة الصهيونية بمنهجها العنصري الذي لا يشابهها فيه أحد ، وهو أن غير اليهودي لا يحق له سكنى ــ فلسطين ــ حتى ولو كان ذلك الشخص مولودا على أرضها وعاشت أسرته ــ من قبل ــ فيها لعدة قرون ، مع أن اليهود بمختلف اتجاهاتهم لم يصلوا إلى قرار يحدد المقصود من كلمة يهودي .

* يدافع الغرب عن الدولتين العنصريتين بأنهما استطاعتا أن تطورا الجوانب الاقتصادية وهو وقوعهما بين دول غير صديقة تضمر العداء لهما والغرب ينظر ــ فقط ــ إلى هذه الناحية متغافلا عن الجوانب الأساسية وأهم هذه الجوانب أن قيامهما في دولتين هو قيام غير شرعي لا تقره الأعراف والقوانين الدولية التي تدعو الحكومات الغربية إلى المحافظة عليها وحمايتها من كل من يحاول الخروج عليها وهو منطق يبرز ــ أيضا ــ تلك الازدواجية في السياسة الغربية عن تعاملها مع هاتين الدولتين العنصريتين بالقياس إلى التعامل مع الدول الاسلامية أو الأفريقية فهؤلاء الذين ينتمون إلى ما أطلق عليه في مصطلحاتهم السياسية ــ بالعالم الثالث ــ هم المصدر الوحيد للمتاعب والقلاقل ، ولهذا نجدهم هدفا لاتهامات الاعلام الغربي بقضية

الارهاب ، أو انتهاك الأعراف ، وستظل هذه النظرة سارية مادام أن الغرب ـــ لم يحاول ولو لمرة واحدة ـــ أن يتخلص من نظرية السيطرة والفوقية التي هي العامل الحقيقي وراء المتاعب السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها هذا العالم الذي لن يصلحه إلا السلام المنبثق عن عدالة وحرية حقيقيتين .

بين الانتقام من النازية والانتصار للصهيونية

* لقد أشرنا في المقالات السابقة من هذه الدراسة أن الحركة الصهيونية العالمية لا تترك وسيلة من الوسائل التي من شأنها أن تسير لها عملية السيطرة على العقلية الأوروبية إلا واستغلتها شر استغلال ، وأنه لتأخذك الحيرة وأنت تقرأ ما تحاول القوى الصهيونية ـــ أخيرا ـــ أن تتشبث به من قضايا في سبيل التستر على تلك الجرائم التي ترتكبها ليس فقط ضد الشعب الفلسطيني العربي المسلم ولكنها شملت أيضا أولئك الأقوام الذين لم يناصبهم الاسلام العداء يوما بسبب انتمائهم إلى عقيدة أخرى ، إلا أن العداء والتنكيل جاءهم من أولئك الذين يطلقون على أنفسهم شعب الله المختار ـــ زورا وبهتانا ـــ .

إن القضية التي يثيرها أنصار الصهيونية في الصحافة الأوروبية ويتناولونها بالدراسة والتحليل تعمدا منهم في إثارة الرعب ونشر

الفتن في قضية التنكيل النازي لليهود ، ومدى تواطؤ بعض الشعوب الأوروبية في التستر على نفر من أولئك الذين اشتركوا بطريق واخر في قتل اليهود وتعذيبهم ، وتدعي الصهيونية في جملة ادعاءاتها أن بعضا من هؤلاء المتهمين استقروا منذ حوالي أربعين عاما في البلاد التي هاجروا إليها ، والصهيونية لا تكتفي بإثارة هذه المشكلة عن طريق أنصارها في الصحافة والاعلام ولكنها ــ في الوقت نفسه ــ تبعث ممثلين لها يطوفون هذه البلاد التي يقرنون مواقفها ــ بطريق غير مباشر ــ بمواقف الحركة النازية ، ولقد كونت الحركة الصهيونية لتتبع هذه القضية ما أسمته بـ «المركز الأمريكي لصيادي النازية» ولقد تمكن هذا المركز الصهيوني من الاطلاع على سجلات الأمم المتحدة وعلى كثير من الوثائق التي تحتفظ بها الكومات الأوروبية وكان من بينها وثائق لم تمض عليها المدة القانونية لنشر محتوياتها ، بل إنها هددت في أنه في حالة عدم قبول بعض هذه الدول بمبدأ التعاون معها في الكشف عن أولئك الذين وصفتهم بأعداء السامية وتمكينها من القبض عليهم ومحاكمتهم فإنها سوف تدفع بأنصارها في بعض البرلمانات الأوروبية إلى استخدام امتيازاتهم البرلمانية في تسمية هؤلاء الأشخاص[1] إننا لا نريد أن نناقش هنا قضية التعذيب النازي لليهود ، والتي بالغوا ــ أنفسهم ــ في وصفها ، ورسموا حولها صورا مضللة ، بل وجعلوا من ذلك الوصف وتلك الصورة رمزا فنيا في عالم السينما

---

(١) انظر مقالة «سيمون جنكنز» في صحيفة التايمز اللندنية الأسبوعية الأحد ١ مارس ١٩٨٧م ، ص ٢٥ .

واسطورة أدبية في الكتابة الشعرية والروائية ، ولكن الذي يحسن بنا أن نلتفت إليه هو مدى حرص الصهيونية في تعقب أولئك الذين أبدوا أو يبدون عداء لتعاليمها الجائرة ، ثم قدرتها على استعمال الوسائل غير القانونية في سبيل دعم مواقفها الفكرية في المجتمعات الأخرى ، ولعل الأعلام العربي والاسلامي يتمكن من إيجاد خطة شاملة تهدف إلى توعية شعوبنا بحقيقة ما ترمي إليه المخططات الصهيونية ، ثم فتح قنوات للحوار والمناقشة مع الشعوب الأخرى عن الخطر الصهيوني الذي يريد أن يكتسح كل شعوب هذه الأرض في سبيل أن تكون له السيطرة والمنعة إنه الخطر الذي فاق بمساويه الظاهرة والخفية ذلك الخطر النازي الذي لا تفتأ الصهيونية في هذه الأيام بوصفه بكل ما هو سيء[1] . ولعلها نسيت أن الأسوء منه هو ما تبثه من رعب وتدعو إليه من باطل .

مواقف للانجليز وأخرى لليهود

* تتعدد الوسائل التي يستخدمها اللوبي الصهيوني في العالم الغربي لقلب الموازين لصالحه عندما يستشعر خطرا على كيان الدولة الصهيونية ، حتى لو كان ذلك الخطر لا يتعدى مجرد التصريح الكلامي غير المصحوب بقرار سياسي يدعمه أو يجعله موضع التنفيذ ، ومن ضمن وسائله في بريطانيا مثلا .. اتهام موظفي وزارة خارجيتهم بأنهم «ARABISTS» أى

---

(١) انظر مقالة «سيمون فريمان» في نفس الصحيفة في عددها الصادر في ٢٢ فبراير ١٩٨٧م ، ص ٢٦ .

«مستعربون» وهي نسبة إلى مدرسة اللغة العربية التى أنشأتها بريطانيا في عام ١٩٤١م في مدينة القدس لتدريس بعض الدبلوماسيين مواد اللغة والثقافة العربية وقد أنشأ الانجليز هذه المدرسة قبل الحرب العالمية الثانية لشعورهم بالحاجة إلى تحدث اللغة العربية ، إضافة إلى أهداف أخرى كانت تمليها النظرة الاستعمارية ــ آنذاك ــ إلا أن أحداث تفجير فندق الملك داود في عام ١٩٤٦ على أيدي عصابة الأرجون الصهيونية التي كان من زعمائها الارهابيان «بيجين وشامير» دفعت الحكومة البريطانية لنقل المدرسة مؤقتا إلى الأردن ، ثم استقرت أخيرا في عام ١٩٤٧م في منطقة «شيملان» في لبنان .. واستمرت كذلك حتى أغلاقها في عام ١٩٧٦ بسبب المتاعب التي واجهها بعض المنتسبين إلى المدرسة وخصوصا أثناء حرب حزيران في عام ١٩٦٧م عندما كانت الحكومة العمالية البريطانية بزعامة «هارولد ويلسون» في موقف انحيازي كامل للدولة الصهيونية ، وعندما فاز حزب المحافظين في عام ١٩٧٠م بقيادة «ادوارد هيث» أعلن وزير خارجيته «السير اليس دوقلس هوم» برنامج حكومته حيال قضية الشرق الأوسط ، وهو برنامج يؤكد على الحقوق الفلسطينية في أى تسوية سلمية تشهدها المنطقة ، ذلك البرنامج وجد فيه المتعاطفون مع الصهيونية خروجا على السياسة التقليدية البريطانية التي شهدتها فترة الستينات الميلادية تحت تأثيرات «ويلسون» ومستشاريه من اليهود أو من الانجليز ذوى النزعة الصهيونية .

ولقد كانت شكوك هؤلاء المتعاطفين في محلها ، فعند قيام

حرب أكتوبر واتحاد الأمة العربية في مواجهة اسرائيل رفضت حكومة «هييث» امداد اسرائيل بالسلاح كما رفضت السماح للطائرات الأمريكية بالتزود من الوقود في أراضيها في حالة اضطرارها للهبوط في المطارات البريطانية وهو موقف استقلالي يعد من حسنات ذلك الزعيم البريطاني القوي الذي لم يمهله اليهود طويلا ، فتألبوا ضده وأسقطوا حكومته في عام ١٩٧٤م ليشكل «ويلسون» من جديد حكومته العمالية الثالثة .

وعندما جاء المحافظون إلى الحكم في عام ١٩٧٩م كان من ضمن وزراء تلك الحكومة اللورد «بيتير كارنجتون» والذي كان من قبل وزيرا للدفاع في حكومة «هييث» السابقة وأحس اليهود بتوجه «كارنجتون» في أقواله لصالح الفلسطينيين فلم يمهلوه هو الآخر ، لقد دبروا تورط بريطانيا في حرب خطيرة مع الأرجنتين واستقال «كارنجتون» في عام ١٩٨٢م بسبب أزمة تلك الحرب ليخلفه زعيم مجلس العموم فرانسيس بيم ، وكانت غلطة هذا الأخير إنه قال «لا» للغزو الاسرائيلي للبنان واليهود يريدون ــ دوما ــ من العالم الغربي «نعم» ولم يعمر «بيم» في منصب وزير الخارجية طويلا ففي أول تشكيل وزاري بعد فوز حزب المحافظين للمرة الثانية في عام ١٩٨٣م تم استبداله بـ «السير جيفري هاو» وقد حاولت اسرائيل للضغط على «هاو» ليرفع حظر بيع السلاح لاسرائيل والذي فرضته بريطانيا عليها أثناء غزو لبنان ، ولكنها لم تفلح في ذلك على الرغم من العلاقات الودية التي تربط الحكومة الحالية ببعض زعماء حزب العمل الاسرائيلي .

* وفي الزيارة الأخيرة التي قام بها «ديفيد ميللر» الوزير بوزارة الخارجية البريطانية ، إلى الأراضي العربية المحتلة ، وخصوصا إلى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ، حيث شاهد بنفسه حقيقة الأوضاع السيئة التي يعيشها هؤلاء اللاجئون لأكثر من عشرين عاما وكانت لحظة من اللحظات التي لم يتمالك الوزير فيها نفسه لقد أنساه الشعور الانساني المتجرد كل تحفظ دبلوماسي يمليه تاريخ العلاقة بين بريطانيا ودولة الكيان الصهيوني ، فذهب يصف السياسة الاسرائيلية في غزة والضفة الغربية بأنها غير إنسانية وتصيب بالاحباط ، وأنها سوف تتسبب في وحشية أكثر وسوف تقود إلى كثير من المشكلات المستعصية في المستقبل .

* لقد تكلم الرجل الانجليزي وهم يتطلبون في هذه المواقف ألا يتكلم الشخص بالعاطفة الانسانية ، ولكن بالمنطق الصهيوني الذي لا يعترف إلا بالقوة الوحشية يريدون منه أن يستحسن قتل النساء والشيوخ وسجن الأطفال لجريمة حمل الحجارة يريدون منه أن يهنئهم على مدى قدرتهم في تطبيق الأحكام العسكرية والقوانين العنصرية ، في أرض لا يملكون فيها أى حق شرعي أو معنوي وضد شعب لا يدين لهم بطاعة أو ولاء ، فكان هجومهم على «ميللر» عنيفا ، لقد وصفه «رابين» وزير الدفاع الاسرائيلي بأنه غر صغير يحسن كثرة الكلام أما رئيس الدولة «تشيم هيرزوج» الايرلندي اليهودي الذي عاشت أسرته في الأراضي البريطانية ، فاكتسب بذلك أحقية التدريب في الجيش البريطاني ، ثم أعلن انسلاخه وتنكره

فلم يسلم «ميللر» أيضا من هجومه ، وفي ذلك دلالة كبيرة على مدى تنكر اليهود للذين يحسنون إليهم حتى حفل الغداء الذي كان مقررا أن يقيمه له بعض أعضاء الحكومة ألغوه لأن نفوسهم لن تطيب من الحقد الذي يملؤها ، والغطرسة التي تتظاهر بها ولم يمنع هذا كله «ميللر» من أن يقول «إن الاسرائليين دوما ينبذون كل من يحاول رفع صوته ولو قليلا» .

* لم يبد «ميللر» ندما على أقواله ، بل وجد تشجيعا وتجاوبا من مجلس العموم البريطاني عندما تحدث بكل صراحة عن أحداث زيارته ولكن الصحف ذات الاتجاه الصهيوني عادت لتصفه بأنه «مستعرب» وإن ذلك سوف يكلفه كثيرا ولعلهم يعنون أن الشخصية التي يتوقع لها أن تشغل منصب وزير الخارجية البريطانية بعد أمد ليس ببعيد سوف تأخذ «ميللر» بشدة اليهود الذين يعيشون في بلاد الغرب ولكنهم يدينون بالولاء للكيان الصهيوني ، انتظروا قليلا فإنهم يتحدثون عن وزير خارجية جديد يهودي الأصل والنزعة .

النجوم اليهودية الصاعدة
في السياسة الأوروبية

* تفتقر صحافتنا الاسلامية والعربية إلى المعلومات الدقيقة والمنظمة عن الشخصيات اليهودية ذات الاتجاه الصهيوني والطموح السياسي والتي تتخذ من المجتمعات الأوروبية منطلقا لتحقيق المصالح الخاصة بالكيان الصهيوني .

وتكتسب دراسة هذه الشخصيات أو التنبيه إلى أنشطتها أهمية خاصة في موضوع صراعنا الحضاري مع الحركة الصهيونية فلا يستطيع أحد أن يجادل في أن قيام الكيان الصهيوني كانت نتيجة لجهود أفراد متميزين ينتمون إلى المجتمع اليهودي في بريطانيا والذي تعود نشأته إلى سنة ١٦٥٦م ويتوزع بنسب مختلفة بين مناطق كينت ، مانشستر ، ليفربول ، ليدز ، سندرلاند ، ايرلندا .

ومما يميز هذه الشخصيات في كثير من الأحيان هو حضورها الدائم بين أفراد المجتمع البريطاني ويقترن عادة بهذا الحضور تقنص هذه الشخصيات لصفات إنسانية نادرة يتطلع إلى تحقيقها هذا المجتمع الذي تمكنت من نفوس أفراده صفات مادية منها الأنانية وفقدان الرحمة والتعاطف .

ولا يقتصر ذلك الدور المنظم الذي تستخدمه هذه الشخصيات اليهودية في التأثير على أفراد المجتمع البريطاني وحده فلربما كان من ضحاياه عدد من أولئك المهاجرين من دول إسلامية وأفريقية أخرى ، والذين يتطلعون إلى حياة آمنة ومستقرة في مجتمع لا يعرفون من قوانينه وشؤونه إلا النزر اليسير الذي لا يفي بتثبيت الحقوق المشروعة الخاصة بهم والمترتبة على وجودهم في هذا المجتمع .

ومن بين الشخصيات العديدة التي تقوم بتمثيل هذا الدور الخطير في المجتمع البريطاني شخصية النجم الصاعد في حكومة الظل العمالية «جيرالد كوفمان» وهو يهودي بولندي ينتمي إلى أسرة متعصبة ليهوديتها ، فوالده يصر على اختيار

أصدقائه من اليهود المتمسكين بحرفية تعاليم الديانة اليهودية كما اعترف بذلك كوفمان في مذكراته التي نشرها في لندن ١٩٨٥م تحت عنوان «حياتي في الشاشة الفضية» My Life In The Silver Screen .

لقد تلقى كوفمان دراسته الأولى في مدينة «ليبدز» ثم سلك طريقه إلى الحياة السياسية ليكون نائبا عماليا في البرلمان البريطاني عام ١٩٧٠م .

ولم يكتف هذا النجم اليهودي في أن يكون نائبا عاديا ، فسرعان ما أصبح أحد أولئك الذين يعتمد عليهم الزعيم العمالي «هارولد ويلسون» في اعداد الخطب والكلمات التي تتطلبها المناسبات الخاصة والعامة ، ثم شغل منصب المتحدث للشؤون الداخلية في حكومة الظل العمالية منذ عام ١٩٨٣م وفي التغيير الأخير الذي أحدثه زعيم المعارضة «نبيل كينيك» بين أفراد فريقه السياسي نجد «كوفمان» يشغل أهم مركز فيه وهو الشؤون الخارجية والذي كان يشغله من قبل Denishealey أحد أقطاب السياسة البريطانية الذين عرفوا بتعاطفهم مع القضية الفلسطينية وانتقاداتهم العلنية في كثير من المناسبات للأساليب العنصرية التي تتبعها الحركة الصهيونية إزاء الشعب الفلسطيني .

ولنا أن نتساءل ، ألم يأن للفرد المسلم والعربي وهو المعني من قبل غيره في هذا الشأن ــ أن يطلع على الأساليب المنظمة التي تنتهجها الحركة الصهيونية في تحقيق مطامعها الكبيرة ، ويرى ذلك الاخلاص الذي يتمتع به اليهود لدينهم ولغتهم وثقافتهم كما يشاهد التسامح الكبير الذي تبديه

المجتمعات الأوروبية تجاه بعض أفراد المجتمع اليهودي الذين يجعلون من منابرهم السياسية وأعلامها وسيلة لتحقيق مطامعهم وترسيخ كيان دولتهم ، في الوقت الذي تبدي فيه هذه الدول — نفسها — امتعاضا ملموسا وكراهية مشاهدة تجاه المجتمعات المهاجرة الأخرى التي لا تتطلع إلى أكثر من تحقيق الحد الأدنى من سبل العيش والاستقرار .

القوة والطموح من منظور العقلية اليهودية

* إذا أردنا أن نعرف أسرار اختراق الحركة الصهيونية للمجتمعات الأوروبية وتمكنها من السيطرة على مؤسساتها السياسية والاعلامية .. فإنه يجب علينا دراسة الشخصية اليهودية دراسة دقيقة تبدأ من معرفة للمنطلقات العقائدية والفكرية التي تنتهجها هذه الشخصية في التعامل مع العقلية الأوروبية وبما أن الأخيرة تؤمن بمبدأين أساسيين الأول منهما هو مبدأ القوة .. وثانيهما هو مبدأ المنفعة الذاتية المجردة من كل قيمة أخلاقية يأمر بها الدين أو يدعو إليها العرف فلا ضير اذن على الشخصية اليهودية أن تلتزم بهذين المبدأين ، فلم يظهر اليهود — يوما — لأقرب حلفائهم من الدول الغربية ضعفا أو استكانة ولم يجدوا طريقا ممهدا يقودهم للمنفعة إلا وسلكوه فإن لم يجدوه ممهدا فليس هناك شيء اسمه التراجع والتخاذل بل العمل الدؤوب ليتحقق ما توجهت طموحاتهم إليه .

* ولقد برزت في بعض المجتمعات الأوروبية شخصيات يهودية حققت عن طريق مبأي القوة والمنفعة بروزا مميزا في

ميداني الاقتصاد والسياسة ولم تنس أن ذلك البروز يجب استغلاله بطريقة ذكية لصالح الحركة الصهيونية التي استطاعت من خلال ومكانة هذه الشخصيات التي تنتمي إلى مؤسساتها أن تحقق مكاسبها على مدى أربعين عاما بداية باحتلال فلسطين وانتهاء بغزو لبنان .

* ومن أبرز الأمثلة على ذلك شخصية اللورد «دافيد ينغ» الذي هاجر إلى بريطانيا مع أسرته بعد الحرب العالمية الأولى واستطاع عن طريق شركته التجارية من اختراق حزب المحافظين والتدرج من وظيفة مستشار غير رسمي في دوانج ستريت مقر الحكومة البريطانية إلى وزير للعمل ثم وزير للتجارة والصناعة في آخر تشكيل لحكومة حزب المحافظين بعد فوزهم بالانتخابات للمرة الثالثة .

* لقد ذكرت صحيفة التايمز اللندنية في عددها الصادر بتاريخ ١٢ /٧ /١٩٨٧م ص ٤٤ نقلا عن كتاب[١] يسجل فيه مؤلفه وقائع الانتخابات البريطانية الأخيرة : أن شخصية لورد ينج حظيت بثقة المسئولين في حزب المحافظين وانطلاقا من هذه الثقة فلقد لعبت هذه الشخصية دورا رئيسيا في قضية الاتصال الجماهيري وعرض برنامج الحزب بصورة مكنت المحافظين من تحقيق مكاسب كبيرة .

* إلا أنه لم يغب عن ذهن هذا المهندس الجديد أن

---

(١)اسم الكتاب الذي صدر في هذا الشأن هو : ــ

CAMPAIGN: THE SELLING OF THE PRIME MINISTER, BY RODNEY TYLER.

التخطيط للحزب الذي ينتمي إليه أن يكون مرتبطا بالمنفعة الذاتية وطموح الشخص وذلك ليس تجنيا على الرجال أو تصورا ذهنيا لما تنطوي عليه شخصيته ولكنها عبارته التي أفلتت منه أثناء معركة الانتخابات البريطانية حيث أبدى تخوفه من برنامج حزب العمال الاقتصادي في حالة فوزه بالانتخابات قائلا (ماذا سوف يحدث لأسهم الشركة التي امتلكها لو أن هذا الحزب حقق الأغلبية المطلوبة) .. ثم أردف قائلا وما هي قيمة أي واحد منا لو تمكنوا ـــ أي العمال ـــ من تحقيق الفوز) .

* نعم إن «ينج» لم يجانب الصواب فهو كأبناء جنسه من اليهود يرون في المال قوة لا تقهر ولكن ذلك المال يجب أن يسخر لشيء واحد فقط وهو بناء دولة صهيون الغاشمة التي يجب أن تعيش ولا تقهر .. إنهم يحلمون ثم يعملون فيحيلون الحلم حقيقة وما علينا بني الاسلام إلا أن نعمل حتى نجعلهم يحلمون فقط فهل نحن عاملون ؟

الفصل الثاني

النواحي الإعلامية

الصهيونية والاعلام الغربي

تحت عنوان «الوصول إلى أوروبا وأمريكا» وفي جريدة عكاظ ، بعددها الصادر يوم السبت ٢٤ جمادي الأولى ١٤٠٧هـ أثَارَ الأستاذ عدنان كامل صلاح قضيتين حساستين متلازمتين الأولى وهي عجز الاعلام العربي عن استغلال الفرص المناسبة للوصول عبر القوة الصهيونية على هذا الرأى ، ولعل هذه السيطرة ــ من وجهة نظري ــ هي الأكثر حساسية في قضية الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، الذي يمثل تحديا حضاريا كانت بدايته في عام ١٩١٧م ، عندما قام وزير الخارجية البريطاني ــ آنذالك ــ «أرثر بلفور» بكتابة رسالة إلى اللورد اليهودي «روث شايلد» تلك الرسالة التي عبر فيها «بلفورد» عن تعاطف حكومته مع طموحات الحركة الصهيونية في إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي فوق أرض فلسطين ، ولم يكن ذلك الوعد إلا نتيجة طبيعية لتلك الجهود التي بذلها الدكتور «وايزمان» رئيس الحركة الصهيونية العالمية ــ آنذاك ــ والذي

استطاع خلال دراسته في جامعة مانشستر بالمملكة المتحدة في الفترة الزمنية ١٩٠٤ /١٩١٤م ، أن يتسلل إلىٰ المجتمع الأكاديمي البريطاني وأن ينفذ عن طريق تفوقه في حقل علم الكيمياء إلى عالم الصحافة حيث رحبت به صحيفة «الجارديان» وكانت يومئذ تصدر بمدينة مانشستر وقام محررها المعروف «س . ب . سكوت» ببناء سمعة خاصة لهذا الصهيوني الذي كان منبوذا في فترة لاحقة بسبب عدائه الخاص للمجتمع البريطاني المسيحي ، ولم يكتف «سكوت» بالترحيب بهذا المفكر الصهيوني ولكنه وضع أيضا كل امكانيات صحيفة «الجارديان» في خدمة القضية الصهيونية والتي كان «وايزمان» نشطا في نشر مبادئها في الأوساط الثقافية البريطانية ، ثم ما لبث «سكوت» أن قدم «وايزمان» إلى المؤسسات السياسية وتمكن هذا الأخير أن يبرز في شخصية العالم الزاهد في المناصب والجوائز العلمية التى عرضتها عليه الجامعة التي قضى فيها سنوات دراسته ، ولكنه سعى سعيا حثيثا لانتزاع وعود أعضاء تلك المؤسسات لمؤازرة القضية الصهيونية ولقد كانت الحركة العمالية البريطانية ميدانا خصبا للتغلغل العنصري الصهيوني منذ عام ١٩٠٢م وفي عام ١٩٢٢م تأسست المنظمة العالمية الاشتراكية الصهيونية داخل حزب العمال البريطاني ، ومن ضمن اهتمامات هذه المنظمة الدفاع المكثف عن القضايا الصهيونية إضافة إلى تدعيم أواصر الصداقة بين الحركة العمالية البريطانية والدولة العنصرية الصهيونية ، وإذا كانت المنظمة الصهيونية العالمية تستخدم

وسائلها المتعددة للتأثير في المسارات التي يرغب أفراد الشعب البريطاني في اتخاذها فإنها لا تقوم بهذا الدور وحدها فهناك مجلس النواب اليهودي البريطاني الذي تسيطر عليه مجموعة من اليهود المتطرفين والذين يؤمنون بمبادىء حزب «حيروت» الصهيوني الداعية إلى القتل والتنكيل بكل من يقف في سبيل انتشار الحركة الصهيونية ويقف إلى جانب هاتين المنظمتين بعض العاملين في هيئة الاذاعة البريطانية والتي كان يرأس مجلس أمنائها إلى حد قريب أحد اليهود الذين يعلنون ولاءهم للصهيونية دون تحفظ وهو «ستيورات ينغ» وهذا ما يجعلنا لا نستغرب ذلك التعاطف الذي تبرزه بعض وسائل الاعلام الأوروبي تجاه الحركة الصهيونية التي لا تألو جهدا بمناسبة وبغير مناسبة في إثارة قضية التنكيل النازي باليهود حتى تتمكن من استدرار عطف الرأي الأوروبي تلك العقدة المفتعلة التي أخفت وتخفي وراءها حقيقة الجرائم التي ترتكب في حق الشعب الفلسطيني المناضل .

الاعلام الاسلامي
في مواجهة التحديات

* لم يتمكن الاعلام العربي والاسلامي بعد من إيجاد رؤية واضحة وشاملة تجاه القضايا التي ترتبط بمصير أمتنا في الوقت الحاضر ويأتي في مقدمة هذه القضايا موضوع السيطرة الصهيونية على قنوات الاعلام الغربي وما تؤدي إليه هذه السيطرة من إعطاء القضايا التي تتصل بالشعب اليهودي أبعادا إنسانية

وحضارية غير حقيقية كما أن هذه السيطرة حققت هدفها الذي سعت إليه منذ أمد طويل وهو الربط بين شخصية الفرد المسلم وقضية الارهاب الدولي بكل صوره وأشكاله .

* ولقد كان عام ١٩٨٦ عاما حافلا بعدد من القضايا التي أبرزت تمكن هذا الاعلام الصهيوني في عرض آرائه والانتصارات لمبادئه ، بينما كان تناول الاعلام الاسلامي والعربي للقضايا نفسها ينم عن شيء من الضعف في الاحاطة والمعرفة وعدم القدرة على اتخاذ الوسائل الملائمة لاستغلال هذه الأحداث الهامة في مواجهة النفوذ الصهيوني المتغلغل بصورة أسطورية في داخل المجتمعات الأوروبية .

* ومن ضمن هذه الأحداث التي أبرزت الفرق الشاسع بين الاعلامين الاسلامي والصهيوني ، تلك الزيارة الخاصة التي حاول أن يقوم بها الزعيم الأمريكي المسلم «عمر فرخانة» في بداية عام ١٩٨٦م للملكة المتحدة ، وبما أن «فرخانة» عرف بعدائه للاتجاهات الصهيونية وانتصاره للقضية الفلسطينية ، فلقد كان ذلك كافيا لقيام الاعلام الصهيوني بشن حملة عدائية ضد هذا الزعيم المسلم كان نتيجتها منعه — بعد وصوله إلى مطار هيثرو — من دخول بريطانيا بحجة أن وجوده قد يثير بعض المشكلات الطائفية ، لقد تمكن المجتمع اليهودي في بريطانيا من أن يقول كلمته ثم يملي على الآخرين تنفيذها لأنه مؤمن كل الايمان بمحتواها وعلى استعداد أن يضحي في سبيلها ، وإذا بحثنا عن موقف الفرد المسلم من هذا الحدث فإننا نجده لم يعطه ما يستحقه من اهتمام ورعاية ولم يرتفع به إلى تلك

الآفاق المتصلة بالوضع الحضاري والكيان الفكري للأمة ، ولعل أشياء من هذه السلبية مردها إلى ذلك العجز الذي أشرنا إليه في قدرة المؤسسات الاعلامية الاسلامية ولربما أن مرد ذلك العجز إلى أسباب يأتي في مقدمتها احتذاء هذه المؤسسات تقليدا وغفلة للاعلام الغربي في طرق معالجته أو تحليله للقضايا العالمية ونسيت هذه المؤسسات أن الاعلام الغربي يفتقد كثيرا من المصداقية بسبب عدم قدرته على التحيد عند تناوله لتلك القضايا استنادا على مواقف تاريخية وفكرية معينة وإنه ربما ارتكب الأخطاء الجسيمة واضطر إلى تغيير الحقائق خوفا من طائلة النفوذ الصهيوني وتحسبا للعواقب التي ينجم عنها أي مساس بوجوده ومصالحه الذاتية .

الاعلام الغربي وقضية حقوق الانسان

* إن تحقيق الاستقلالية في المؤسسات الاعلامية الاسلامية قاعدة ضرورية لتجنب ما وصفناه في الموضوع السابق من عدم تحقق المصداقية في وسائل الاعلام الغربي «صحافة ، وإذاعة ، وتلفزة» فيما يتصل بتلك القضايا التي يمكن وصفها بأنها ذات سمة مصيرية في تاريخ أو كيان الأمتين العربية والاسلامية .

* لقد انساق إعلامنا الاسلامي خلف الاعلام الغربي حيث كان التوقف ضرورة يمليها استقراء الأحداث التي يحاول الغرب تفسيرها لنا من منطلقات تختلف تمام الاختلاف عن المنطلقات الحقيقية التي يؤمن بها ، ويعمل من خلالها على

تحقيق إرادته التي لا يؤثر فيها إلا ما يفرقه النفوذ الصهيوني من رغبات لا يقوى الغرب بمؤسساته الاعلامية والثقافية على مناقشتها فضلا عن عدم تحقيقها .

* لقد جندت الصهيونية الاعلام الغربي في السنوات الأخيرة لاثارة موضع «حقوق الانسان» في المجتمع السوفيتي ، فلم يوافق زعيم أوروبي على القيام بزيارة رسمية للمعسكر الروسي ما لم يتضمن برنامج الزيارة الاجتماع ببعض المنشقين السوفييت «كاندريه ساخروف» وما لم يشتمل البيان النهائي للزيارة نفسها على التأكيد على الحقوق المهدرة لهذا الانسان ، وتنتهي الزيارة وتبدأ وسائل الاعلام الغربي في إبراز صور هؤلاء الزعماء الأوروبيين وهم يتحدثون إلى هؤلاء المنشقين والذين كثيرا ما تخلع عليهم صفات العبقرية والعظمة والانسانية .

* ولقد تعمدت هذه الوسائل الاعلامية في كثير من المناسبات عدم التعرض للتوجه الفكري أو الاعتقاد الديني لهؤلاء المنشقين والاكتفاء بوصفهم بالمنشقين السوفييت إلا أن هذه الوسائل تدرك تماما أن العامل الوحيد خلف هذه الاثارة المفتعلة حول هذه الشخصيات هو انتماؤها العقائدي للديانة اليهودية وتوجهها الفكري للحركة الصهيونية وإنه لو تجردت هذه الشخصيات من انتمائها العقائدي والفكري لما حظيت بشيء من هذه الهالة العظيمة التي لم يتنبه الاعلام العربي والاسلامي إلى خطورتها فأخذ يردد المقولة الغربية ــ نفسها ــ دون وعي وتبصر وتلك غفلة ما كان لاعلامنا العربي أن يقع فيها وهو الذي تقع عليه مسؤولية تمحيص ما يتلقاه القارىء

والمستمع في مجتمعاتنا اعتمادا على منطلقاتنا العقائدية والفكرية .

** إن ما نراه أحيانا من شواهد حية تتصل بهذا الموضوع تجعلنا كالذي يضحك عندما يضحك الآخرون وينوح عندما ينوحون ، ولعله مما يعمق أبعاد هذه الصورة المحزنة أن هذا الذي نحتذيه في أفراحنا وأتراحنا هو عدو لا يمكن الاطمئنان إليه لمجرد ابتسامة صفراء ترضي غرورنا أو صيحة حزن تمطر غيمة في عيوننا .

الاعلام الغربي وقضية تهويد القدس

* حاول الاعلام الغربي أن يربط بين الاستيلاء الاسرائيلي على القدس الشرقية في حرب حزيران ١٩٦٧م وبين ما أسماه بالمكتسبات التي تحقق للمدينة في ظل الادارة الاسرائيلية ، ومن بين هذه المكتسبات ــ حسب زعمه ــ حرية زيارة الأماكن المقدسة التي لم تكن متوفرة خلال الفترة بين ١٩٤٨ ــ ١٩٦٧م[1] .

ويستند هذا الادعاء الاعلامي الزائف على تلك النبوءة المفتراة التي رسختها الصهيونية في الفكر المسيحي المعاصر عن أرض الميعاد التي وعد الله بها نسل نبيه إبراهيم من اليهود فقط .

---

(١) كيت ماجواير ــ تهويد القدس ، مركز الدراسات العربية ــ بيروت ، ١٩٨١م ــ ص ٣٥ .

** إن المنطق ليقتضي من هذا الاعلام الذي كثيرا ما يفاخر بالعقلانية في تبني الآراء وبالمنهجية في تقص الأخبار ، أن يقف موقف المحقق الأمين الذي يرى أن نبوءة كهذه يمكن أن تتداعى بسهولة أمام رفض العقل البشري لادعاء باطل يقوم على تمييز الله بين عباده فيختص شعبا منهم برعايته ليمنحهم من ملكوته ما يحرمه على الشعوب الأخرى .

** كما أن هذه الفكرة التي روج لها الاعلام الغربي تتناقض مع مقاييس الحق المعاصرة التي يمكن من خلالها أن نحكم على أحقية شعب ما على أرض معينة اعتمادا على حقيقة الولادة على هذه الأرض والاقامة الطويلة والمتواصلة عليها ، وهو ما يستحيل انطباقه على الشعب اليهودي الذي تدفق إلى فلسطين خلال القرن الأخير من أواسط أوروبا ، بولندا ، روسيا ، الولايات المتحدة وهم في غالبيتهم من الخزر انسال القوقازيين الروس الذين اعتنقوا اليهودية في منتصف القرن الثامن الميلادي[1] .

** ولقد كان من واجب الاعلام الذي نشط في التنصير بعصر ذهبي لمدينة القدس بعد توحيدها بصورة غير شرعية تحت الحكم العسكري الاسرائيلي ، أن ينقل الصورة الحقيقية لسلسلة الأحداث البربرية التي استهدفت بصورة رئيسية الأماكن المقدسة للمسلمين ابتاع ذلك الدين الذي سن حلفاؤه ابتداء من الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ كل أسس

---

(١) سمير جرجس «القدس» ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ٤٠ .

المساواة والعدل بين اتباع الديانات المختلفة التي وجدت على هذه الأرض المقدسة ، كما كان لأماكن العبادة المسيحية نصيب من تلك الأحداث فلقد تم في عام ١٩٧٩م احياء الهجمات ضد المنظمات المسيحية من قبل جماعات يهودية أرثوزوكسية .

** وبهذا نرى أن الاعلام الغربي قد فشل في تحقيق مبدأ المصداقية الذي يتشدق به في كل مناسبة فلم يجسر على النقد أو ابداء الرأى فيما أقدمت عليه الصهيونية من تعسف في تفسير نبوءة أرض الميعاد الكاذبة ، والتي أقحمت فيها الكتب الدينية المسيحية ، ثم لاغماض هذا الاعلام عينيه وصم أذنيه عن تلك الاعتداءات الارهابية المتكررة التي شهدتها الأماكن المقدسة والمؤسسات والاحياء غير اليهودية ، ولعل السبب في صمته المشين هو إنه مازال يحلم بتلك المكتسبات التي لم يكن لها وجود إلا في ادعاءات الفكر الصهيوني الجائر .

الاعلام الغربي والجاليات الاسلامية

* بعد أن دالت دولة الاستعمار من تلك البلاد التي حكمتها تحت شعار إنقاذها مما وقعت فيه من تخلف اجتماعي واقتصادي ، وبعد أن رفعت يدها عن تلك الشعوب التي لم تتورع يوما في أن تنتشي بمنظر دمائها المسفوكة .. خرجت وفي نفسها حنين إلى العودة ولكن أخفته إلى حين ، ولم يكن ذلك الاخفاء خوفا من سطوة أو رغبة في وداد ، ولكنها الاستراتيجية والطموح المنفعي الذي يحكم تصرفاتها وتنبني

عليها سياستها .

** وحيث إن المبادىء التي تنادي إلى الأخذ بها الحكومات الغربية من المثالية والكمال فيها من القوة ــ ظاهرا ــ ما يجعلها فوق أى شبهة يوجهها الآخرون إليها لذا فهي تلجأ إلى عدد من الأساليب الملتوية التي تحقق بها رغباتها الدفينة والتي تعبر عن عقلية يمكن وصفها بأنها تتنافى مع ذلك التدرج الطبيعي الذي بلغته العقلية الانسانية وحققت به مستوى حضاريا معينا تنتفي معه كل سمات السيطرة والفوقية والعنرصية لذا فهي تلتزم الصمت إزاء كثير من التصرفات غير الانسانية التي ترتكبها بعض المؤسسات السياسية ضد الأقليات التي تعيش داخل المجتمع الغربي وتشارك في عملية تنميته ولكنها لا تحظى بالحصانة التي تمكنها من دفع ما يمكن أن يرتكب ضدها .

فالجالية الاسلامية والعربية المقيمة في فرنسا والتي يبلغ عددها حوالي ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة تتعرض لحرب جسدية ونفسية تقوم بها (الجبهة الوطنية) أو ما يسمى باليمين المتطرف .

والمسألة لا تتوقف عند أولئك الضحايا العرب ــ ومن بينهم الكثير من الكهول والأطفال ــ والذين كانوا هدفا لرصاص هذه الحركة الفاشية ، وتبلغ القضية ذروة مأساتها عندما نجد الأحزاب الأخرى (اليمينية واليسارية) وهي أحزاب رسمية مسؤولة نجدها تتبنى في غير استحياء الأطروحات اللوبية (نسبة إلى ماري لوبين زعيم الاتجاه المتطرف في فرنسا) .

وفي بلد آخر كالولايات المتحدة الأمريكية فإن المنظمات الصهيونية الرسمية تتولى مهمة مضايقة الاسلام وأهله وليس بغريب علينا تلك الأعمال الارهابية التي تعرض لها كثير من أعضاء «جمعية الأمريكيين ــ العرب لمناهضة التمييز العنصري» .

وامتدت في حمأة ذلك الحقد الأعمى يد آثمة إلى المفكر الاسلامي (عمر الفاروقي) فقتلته مع زوجته وعلى مرأى من أطفاله وضاعت قضية إجرامية كهذه في بلد ما يسمى بالعدالة والحرية لأن القتيل مسلم والقاتل يهودي .

** وفي بريطانيا لا يمر يوم من الأيام إلا وأنت تسمع عن قصة عائلة مسلمة وقد تعرض منزلها للسلب وأبناؤها للضرب وكبارها للشتم بألفاظ تكشف عن فكر عنصري متجذر عند من يقومون بهذه الأعمال التي يحاول البوليس ــ أحيانا ــ إخفاء تفاصيلها تعاطفا مع المتسببين فيها .

ولاشك في أن وسائل الاعلام الغربي التي كثيرا ما تردد كلمات ارهابيون Terrorists أو عصابات Guerillas عند الحديث عن قضايا الشرق الأوسط وخصوصا القضية الفلسطينية ، أو كلمة TRIBALISM «القبلية» عند التغطية الاعلامية للشؤون الأفريقية هذه الوسائل مسؤولة عن شحن نفسية الفرد الغربي بهذا الشعور العنصري الذي تتفجر طاقته بشكل مفزع .

صورة العربي في السينما الأوروبية

* تناول الزميل الدكتور «راكان حبيب» في موضوعاته القيمة التي ينشرها على صفحات مجلة «اقرأ» عددا من قضايا الاعلام العربي ، وكانت إحدى هذه القضايا الهامة التي نبه إليها هو استغلال الأفلام الأوروبية والأمريكية لأى فرصة لترسيخ النظرة العدائية ضد العرب .

ومع أن المقالة لم تعرض لأمثلة من هذه الأفلام إلا أنها اكتفت بتلك الاشارة الموجزة لهذا الموضوع الحساس الذي يجب أن تشغل موضوعاته مساحة كبيرة من صحافتنا الواعية في سبيل توفير اطر ثقافية واضحة وقوية للقارىء ليستطيع من خلالها مواجهة التيارات الفكرية والثقافية الأخرى ، التي تعمل منذ أمد طويل وبوسائل عديدة على إثارة الشكوك حول الأسس الحضارية والمسار التاريخي للأمة التي ينتمي إليها هذا القارىء عقيدة وفكرا وسلوكا .

وسأكتفي في موضوع اليوم إلى الاشارة إلى صورة العربي في السينما الفرنسية التي لم يكن من ضمن اهتماماتها في السنوات السابقة التعرض للشخصية العربية بهذه الصورة السلبية ، إلا أن الحضور الصهيوني المتزايد في المجتمع الفرنسي ــ أخيرا ــ نجح إلى حد بعيد في التأثير على بعض المخرجين الفرنسيين لتنفيذ ما يسعى إلى تثبيته من صور سيئة ومشاهد دنيئة عن الفرد العربي .

** ففي فيلم «بوليس» للمخرج «موريس بيالا» يمكننا أن نلاحظ اقتحام شخصية العربي للسينما الفرنسية لكن على أى

شكل ؟ فكل العرب الذين يطاردهم مفتش الشرطة «مونجان» بائعو مخدرات مجرمون صغار غشاشون ومزورون .

ولقد أنتج عدد المخرجين ذلك المسار الذي ابتداه «موريس» فنرى صورة العربي نفسها لم تتغير إن لم تزدد سوءا في فيلم «الأخ الأكبر» الذي أخرجه «فرانسيس جيروا» وقام ببطولته النجم السينمائي جيراردو بارديو وكذلك الحال نفسه في فيلم الميزان للمخرج بوب سوام وفي فيلم «وداعا بونتان» لكود بيري[1] .

لقد أصبح العربي في السينما الفرنسية يقوم بنفس دور الانسان الأفريقي في الأفلام البوليسية الأمريكية وبنفس دور الهنود الحمر في أشرطة رعاة البقر الأولى ولئن استطاعت شخصية الانسان الأفريقي أو الهندي الأحمر أن تثبت وجودها في المجتمع الأمريكي وتبرهن على خيالية تلك الصور السلبية التي رسمت بإيحاء من العقلية الاستعمارية التي تؤمن بتفوق جنسي وتدعو إلى عنصرية غير إنسانية ، فإنه مما لاشك فيه أن الوجود العربي والاسلامي في كثير من دول العالم الغربي لديه القدرة الكافية في أن يثأر لكرامته ويعمل على تغيير تلك الصورة المشينة بأسلوب حضاري يتمثل في تحمل الأمانة ومراقبة السلوك والتزام أسلوب المناقشة والاقناع وهو ما أمرتنا به الآيات البينات في كتاب الله الكريم وجسده لنا رسول الله ﷺ في كل مرحلة من مراحل الدعوة الاسلامية .

(١) جميع المعلومات المتعلقة بهذه الأفلام رجعنا فيها إلى مقال «العربي يقتحم الشاشة لكن على أي شكل» والذي نشر بمجلة «جون افريك» عدد ١٢٩٦ /١٩٨٥م وترجمة كل من فريد بوغدير وعاسين سعيد .

الاعلام وهوية المعركة

* ارتفع الاعلام الاسلامي والعربي إلى مستوى الأحداث التي تشهدها أرض فلسطين أخير ، وكان دور الاعلام السعودي .. كما وصفه الأستاذ عبد الله الحصين في كلمته بعدد يوم الثلاثاء ٧ رجب ١٤٠٨هـ دورا سباقا إلى رصد وتجسيد الانتفاضة بكل ما من زخم الاثارة وعمق الاحساس وصدق الموقف ولاشك أن ذلك الموقف هو التجسيد الحي لمواقف المملكة الثابتة من هذه القضية منذ عهد المغفور له جلالة الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ .

* ولعل السؤال الذي يتطلع الكثير إلى طرحه من قبل الاعلام والصحافة العربيين هو : ما هي نوعية المعركة التي تخوضها الأمة الاسلامية مع الحركة الصهيونية العالمية ؟ هل هي : ــ فقط ــ معركة سياسية تريد فيها اسرائيل الاحتفاظ بالأرض احتلتها على مراحل متعددة ؟ أم أن المعركة تنطلق من مواقف عقائدية وحضارية يمكن تلمس أوجهها في هذا الدعم العسكري والمعنوي الذي تحظى به الدولة العنصرية من المعسكرين الشرقي والغربي ؟ فأمريكا مثلا التي تريد أن تبرز وجهها الانساني بالدعوة إلى الانسحاب العسكري من أفغانستان ، هي القوة التي يستمد منها الكيان الصهيوني كل موجبات غطرسته وعنجهيته ، في معركته ، البربرية مع الشعب الفلسطيني الأعزل ، والمعسكر الشيوعي الذي لا يحتفظ بعلاقات رسمية مع هذا الكيان نفسه ، هو المصدر الأساسي الذي تستمد منه اسرائيل عوامل وجودها واستمراريتها وذلك عن

طريق فتح باب الهجرة اليهودية إلى أرض فلسطين ، وعيا منها بأهمية الجانب الديموغرافي «السكاني» في تحديد أبعاد ومستقبل هذا الصراع التاريخي والحضاري .

** إن مصطلح «إيباك» الذي يتفوه الأمريكيون باسمه في حذر ويتحدثون عن مدى تأثيره في صناعة القرار الأمريكي بكل خوف وتهيب هو اختصار لاسم «لجنة العلاقات العامة الأمريكية ــ الاسرائيلية ، وهي أحد العناصر الأساسية في تشكيل السياسة الخارجية الأمريكية ، وتختار لها مكتبا تتم حراسته حراسة مشددة ، ويقع بالقرب من مبنى الكونجرس ويتحكم في بيع أسلحة أمريكية للدول الأخرى ، وتتشاور الخارجية والبيت الأبيض مع هذه الجماعة ويجري الجنرالات وأعضاء الشيوخ اتصالاتهم بها[١] .

** والغريب أن هذه الجماعة ليست اسرائيلية ، وهي مؤسسة للأمريكيين الذين يؤيدون اسرائيل في الادارة الأمريكية والكونجرس ، والرأي العام .

** ويوجد في دول العالم الغربي الأخرى شبيه لهذه المنظمة من حيث بواعث تأسيسها وتوجه أهدافها ولعل Paole Zion[٢] «المنظمة العالمية الاشتراكية الصهيونية لحزب العمال البريطاني» هي الأكثر شبها بهذه المنظمة الأمريكية ، ولقد بدأت المنظمة البريطانية نشاطها السياسي في عام ١٩٢٠م بعد اندماجها بصورة رسمية في حزب العمال ، فعملت على الدفاع

---

(١) رسالة واشنطن ، صحيفة الأهرام المصرية ، ١١ /٧ /١٩٨٧م ، ص ٥

(٢) 2) THE MIDDLE EAST COVER UP, PP, 33/34

المكثف عن القضايا الصهيونية في داخل الحزب وبين أروقة مجلس العموم البريطاني ، كما استطاعت أن تفرض سيطرتها بصورة تدريجية حتى أصبح من حقها إخضاع الأفراد الراغبين في الحصول على عضوية في الحزب إلى امتحان عنصري عسير ، وفي حالة عدم اقتناعها بالشخصية المتقدمة فإنه يصبح من المستحيل أن يتجرأ المسؤولون على ضم تلك الشخصية — صهيونيا — إلى مؤسستهم الحزبية .

** ومن المواقف التي تحتفظ بها ذاكرتي عن هذه المنظمة هو استغلالها لاندلاع القتال بين بعض الفصائل الفلسطينية في «لبنان» في عام ١٩٨٣م فلقد وقف أحد أعضائها البارزين ، وهو النائب العمالي Ian Mikardo «اين ميكاردو» يحث مجلس العموم على اتخاذ قرار جماعي بقفل المكتب الفلسطيني «بلندن» ، ولكن المجلس أعرض عن رأي كهذا ولم يلتفت إلى تلك العبارات المغلفة بحماس صهيوني لا يستغرب من أعضاء اليمين أو اليسار في الحزب الذي طالما تحدث اليهود وأنصارهم من فوق منابره بكل غريب وعجيب .

** وسوف تتحرك الصهيونية بعد القرار الأمريكي الذي يتناقض مع تلك المبادىء التي ينادي بها الاعلام الغربي من حرية ، وعدالة ، ومساواة تتحرك من خلال أصدائها في البرلمانات الأوروبية لاصدار قرارات مماثلة ، وسوف يضحي الموقف الأمريكي سابقة سيئة في حق الشعب الأمريكي — نفسه — الذي أخضع للابتزاز الصهيوني ، وهيىء بكل الوسائل للايمان بجميع الترهات التلمودية ، إنه رفض للعقل ، وتحد للعقلانية ، واستخفاف بالمبادىء .

المجتمع الاسلامي في بريطانيا
والضغوط الصهيونية

* تحت عنوان مثير وغريب وهو «WHICH WAY LEADS TO PARADISE» أي السبل يقود إلى الجنة «نشرت صحيفة التايمز» اللندنية في عددها الصادر بتاريخ ١٩ أغسطس ١٩٨٧م تحقيقا عن وضع المسلمين في المجتمع البريطاني وقد حددت الصحيفة هدف هذا التحقيق بقولها في مقدمته «إن المسلمين يواجهون اختبارا صعبا يتمثل في مدى قابليتهم لتقبل الثقافة المهيمنة في المجتمع الذي يعيشون فيه أو الاكتفاء بتراثهم الخاص وهو ــ أي التراث ــ ما سوف يؤدي بهم في النهاية إلى العزلة .

* ثم يذهب التحقيق للاشارة إلى أن عدد المسلمين في الجزيرة البريطانية قد بلغ المليون ، وإنه من المتوقع أن يزداد هذا العدد بصورة كبيرة مع حلول عام ٢٠٠١م وتعود الصحيفة للتأكيد على الهدف الذي بنت عليه تحقيقها وهو معرفة مدى استعداد الأجيال القادمة لتقبل الثقافة الأوروبية وإنه في حالة رفضهم لمعطياتها سوف يواجهون مستقبلا خطيرا ولا تتردد الصحيفة في أن تتنبأ بمستقبل انعزالي لأفراد الجالية المسلمة وهذا ما سوف يدفع المجتمع البريطاني لأن يربط بين هذه العزلة الثقافية وبين تلك المخاطر التي بدأت تشهدها مياه الخليج العربي .

* وقبل أن نتعمق في كثير من جزئيات هذا التحقيق الفريد فإنه يحق لنا أن نتساءل عن الدوافع عند صحيفة معروفة كهذا

في أن تبدأ تحقيقها بإثارة قضية المواجهة الثقافية أو الحضارية بين الجالية الاسلامية والمجتمع البريطاني هل هو من قبيل تهيئة القارىء أو الفرد البريطاني ليتخذ موقفا محددا من الاسلام وأهله ؟؟ أو هي قضية الخوف من انتشار الاسلام بين قطاع كبير من أفراد المجتمع البريطاني وخصوصا في مدن بريطانية معروفة مثل لندن ومانشستر وبرمنغهام وكاروف وجلاسكو وإنه مما يؤكد هذا الدافع الأخير هو أن الجزء الثاني من التحقيق ركز على شخصية الداعية الانجليزي المسلم يوسف اسلام والذي كان يعرف سابقا في عالم الموسيقى والفن بلقب CAT STEVENS «كات ستيفينز» ، ثم قطع صلته بالفن وأهله بعد اعتناقه للدين الاسلامي في عام ١٩٧٧م ليصبح واحدا من الدعاة الاسلاميين الذين تشغلهم قضية إيجاد مدارس مستقلة لأبناء المسلمين تتوجه نسبة كبيرة من مناهجها للدراسات الاسلامية ويرى يوسف اسلام أن الدافع وراء قيام مثال هذه المدارس إنما يعود بالدرجة الأولى إلى وضع المجتمع البريطاني الذي لا يهتم أفراده بتعاليم الدين المسيحي بل إن الأجيال فيه غدت تتعرض بصورة واضحة للأراء غير الدينية والممارسات غير الأخلاقية ويرد على القائلين : بأن وجود المدارس الاسلامية في مجتمع غربي هو تجزئة لهذا المجتمع ، لأن واقع هذا المجتمع يقول شيئا آخر ، فماذا عن هذه النسبة الكبيرة من الأطفال الذين يتركون دورهم ثم لا يعودون إليها ؟؟ أليس في المناهج الاسلامية التي تدعو إلى الحب والاحترام ، ما يصلح اعوجاج هذا المجتمع ويقوم ما فسد من سبل التربية فيه .

* ولكن الصحيفة التي طرحت قضية المواجهة الثقافية بين الجالية الاسلامية وبقية أفراد المجتمع البريطاني بصورة مفتعلة ، لم تملك الشجاعة الكافية لتشير إلى أن الذي وقف ضد مطلب الجالية الاسلامية بإيجاد مدارس مستقلة لم يكن المجتمع البريطاني أو تقاليده العلمية التي ينبثق بعضها من الديانة المسيحية التي يكن لها المسلمون في صورتها الحقيقية كل الاحترام والتقدير ولكنها التعاليم الصهيونية ممثلة في شخصية الوزير اليهودي السابق للتعليم «كييث جوزيف» الذي قاد معارضة واضحة ضد المطلب الاسلامي منذ توليه مسؤولية التعليم في بريطانيا في عام ١٩٨٣م حتى استقالته في عام ١٩٨٦م بسبب مواجهة جميع نقابات المدرسين لما سماه ببرنامج الاصلاحات الجديدة الخاص بثقافة المدرس وعدد ساعات عمله وأجره .

* لقد ظل جوزيف إلى اليوم الأخير الذي أنهى فيه عمله وهو يعارض مطالب المسلمين التعليمية حفاظا حسب تعبيره على التقاليد العلمية والثقافية للمجتمع البريطاني ولكن ماذا عن تلك الامتيازات الخاصة التي تحظى بها الجالية اليهودية في بريطانيا ؟ وفي مقدمة تلك الامتيازات السماح لرجال الدين اليهود بالتردد على المدارس الانجليزية بحجة اعطاء دروس دينية لجميع أبناء الجالية اليهودية المنتمين إلى هذه المدارس والذين يأتون لتلقي العلم فيها متميزين عن غيرهم بارتداء القبعات الخاصة بهم ، بينما يبقى محظورا على أبناء الجاليات الأخرى ارتداء أي لباس خاص يميزهم عن بقية زملائهم من الدارسين .

* ولنا أن نتساءل أيضا لماذا هذا التسامح المفرط مع كل ما هو يهودي ؟ وذلك الحجر والتضييق على كل ما هو اسلامي ؟ فهل من مجيب ؟؟ .

(١) اليهوديان والصحافة البريطانية

لم تجد الصحف البريطانية وصفا ملائما للشخصيات العربية التي قامت بواسطة الطائرات الشراعية بعملية فدائية ناجحة ضد الأهداف العسكرية في الأرض المحتلة إلا تلك الكلمات المألوفة في قاموسها «zterrorists» «الارهابيون» معبرة بذلك عن تعاطفها مع الاحتلال الصهيوني للأرض العربية ورافضة في الوقت نفسه المقاومة المشروعة للشعب الفلسطيني ولم تبخل صحيفة مثل التايمز أو الديلي اكسبرس بنشر صور بعض الجنود الاسرائيليين وهم يبكون معانقين بعضهم البعض بعد انقضاء عملية دفن من قتل من زملائهم الجنود وذلك بغية كسب عواطف القارىء الانجليزي إلى جانب ذلك الجندي الاسرائيلي الذي لا يهمه سوى إثارة الرعب بين أفراد شعب عزل يرون الظلم ثم لا يستطيعون له دفعا .

* والصحافة البريطانية التي دأبت على استعمال مثل هذه الكلمات التي تسيء إلى ذلك العدد الكبير من أفراد الجالية المسلمة التي تعيش داخل الجزيرة البريطانية نفسها وتشارك مشاركة إيجابية في تنمية المجتمع البريطاني منذ أمد طويل هي الصحافة نفسها التي تسيء إلى شعوب إنسانية أخرى وتتعامل مع شؤونهم بقاموس من الكلمات أنتجته عصور الاستعمار

والاقطاع وكان على هذه الصحافة التي تربط بلدها بعلاقات سياسية واقتصادية مع شعوب أخرى أن تترفع «حضاريا» عن هذه الكلمات المسيئة وتنظر إلى قضايا هذه الشعوب بنظرة بعيدة عن التأثير اليهودي الذي يمارسه بعض الناشرين اليهود من أمثال روبرت موردخ الذي يملك مجموعة الصحف البريطانية المعروفة باسم الصن أو روبرت ماكسويل الذي يملك قطاعا آخر من المؤسسات الصحفية في بريطانيا وأمريكا .

* إن هذين التاجرين أو الناشرين الذين يمارسان من خلال الصحافة سلطة قوية على العقول والأفكار يرفضان دوما أى محاولة لدفع مسار هذه الصحافة إلى الاتجاه المعتدل ولكنها محاولات يجب أن تتم لأن الخاسر الوحيد في هذه القضية هو المجتمع الغربي .

(٢) اليهوديان والصحافة البريطانية

* تحدثنا في المقالة السابقة عن سيطرة الناشرين اليهوديين روبرت مردوخ وروبرت ماكسويل على قطاع كبير من المؤسسات الصحافية في بريطانيا فلقد آلت — في السنوات الأخيرة — ملكية صحيفة التايمز إلى «مردوخ» المعروف بامبراطوريته الصحافية التي تتوزع بين دول كاستراليا والولايات المتحدة الأمريكية أما ماكسويل الذي يتحكم في ست صحف انجليزية بما فيها الصحيفة المعروفة Daily Mirror «ديلي ميرور» فهو صاحب انتشار غريب في كثير من دول العالم الغربي وبعض دول العالم الآسيوي والأفريقي .

* لقد ساهم ماكسويل في القناة الفرنسية المعروفة باسم T.F.I. ويملك حصة في مؤسسة الطباعة الكينية كما وقع أخيرا اتفاقا يتم بموجبه تزويد الصين ببرامج تلفزيونية ومن آخر أهدافه التجارية في مجال الصحافة والاعلام هو رغبته في الاسهام في شركة الطباعة الأمريكية «Bell and Howell» .

* لقد كان لتسلط «ماكسويل» على القنوات الاعلامية في دول العالم الغربي أثره في اضفاء سمات أسطورية على شخصيته فهو الذي تصفه مجلة «النيوزويك» في عددها الصادر بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٨٧ بأنه العامل الذي لا يفرق بين منتصف الليل أو منتصف النهار كما أنه يتحدث تسع لغات مختلفة لذا فقد حظي في أيام قصيرة بمقابلة رئيس جمهورية فرنسا ورئيس وزرائها وملكة الدنمارك ورئيسة وزراء بريطانيا وهو في الوقت نفسه المتعاطف العمالي الذي يصرح بعدائه للشيوعية ولكنه يحتفظ بعلاقات حميمة مع زعماء دول أوروبا الشرقية وللتدليل على ذلك فلقد قام أخيرا بزيارة ودية لدولة «بلغاريا» أثمرت في نهايتها عن تعاون صناعي وتجاري..

لقد ولد «ماكسويل» حسب رواية «النيوزويك» في تشيكوسلوفاكيا من أسرة يهودية مزارعة وانضم إلى حركات المقاومة ضد النازية في موطن نشأته ثم في فرنسا وأخيرا انضم إلى الجيش الانجليزي وكوفىء على خدماته في هذا الجيش بمنحه ميدالية عسكرية في سنة ١٩٤٥م .

ثم جاءت حكومة «هارولد ويلسون» العمالية في عام ١٩٦٤م ، وكان «ويلسون» معروفا بتعاطفه مع الحركة الصهيونية

وزعمائها فأصبح ماكسويل على أثر ذلك نائبا عماليا في مجلس العموم البريطاني ، ومن هناك دخل التاريخ من أوسع أبوابه وعلى أكتاف الذين يهمهم أن تنتصر الصهيونية في كل الميادين ، وبما أن ذلك لن يتحقق إلا بالسيطرة على الاعلام وقنواته ، فكان لابد لمردوخ وماكسويل أن يتربعا على عرش الصحافة في الغرب .

(١) الذين يجرؤون على الكلام

* ذكر الأستاذ عبد الله القصبي في مقال له بصحيفة المدينة وفي عددها الصادر بتاريخ ٢٩ شعبان ١٤٠٨هـ أنه من المؤلم أن يأتي إلى بلادنا «بول فندلي» Paul Findly مؤلف كتاب «الذين يجرؤون على الكلام» They dare to Speakout ويقضي بضعة أيام ولا يدعوه ناد ولا تستقبله صحيفة ولا يطلب منه أن يحاضر أو يتكلم وعبارة الأستاذ الفاضل السابقة فيها شيء من التعميم ، فلقد قامت صحيفة سعودي جازيت بإجراء مقابلة مع فندلي ونشرتها في عددها الصادر بتاريخ ٩ رجب ١٤٠٨هـ ولقد كشف الكاتب الأمريكي في هذه المقابلة عن حقائق جديدة تتصل بخضوع الادارة الأمريكية لنفوذ اللوبي الصهيوني ، كما أن الصحيفة نفسها تقوم بنشر كتابه على حلقات متتالية ، وهو جهد لابد من الاشارة إليه وإن كان هذا الجهد لا يعفي الصحف الأخرى أو المؤسسات العلمية والثقافية من قيامها بالدور المطلوب تجاه هذا الكاتب ومؤلفه الذي أصبح منذ عام ١٩٨٠م هدفا لأهبط حملة برلمانية في

تاريخ ولايته الأمريكية «ايلنوي» شنتها المدن التي يتمركز فيها النشاط الموالي لاسرائيل وذلك بسبب انغماسه في شؤون الشرق الأوسط وكان هدف الحملة هو اقصاؤه عن التمثيل في الكونغرس الأمريكي وجعله عبرة لِلآخرين والذين يتجرؤون على اتباع نهج يخالف ذلك النهج الصهيوني الذي اختطته اللجنة الأمريكية ــ الاسرائيلية للشؤون العامة «ايباك» AIPAC والتي يطيع أوامرها جميع أعضاء مجلس الشيوخ والنواب حيث أدخلت في روعهم أنها تعرف كل ما يقال عن سياسات الشرق الأوسط حتى وإن كان ذلك يجري في الأحاديث الخاصة .

* وللتاريخ فإن فندلي لم يكن الشخصية الأولى في العالم الغربي التي تتعرض لضغوط اللوبي الصهيوني فقد سبقه إلى ذلك عدد آخر من الكتاب السياسيين الأوروبيين الذين أرادوا أن يقولوا الحقيقة حول الصراع العربي ــ الاسرائيلي فعمل ذلك اللوبي على إسكاتهم بكل الطرق والوسائل ومن هؤلاء العضوان السابقان في حزب العمال البريطاني كريستوفر مايهو Christopher Myhew ومايكل ادمز Michael Adams اللذان أصدرا كتابهما المعروف باسم تغطية الشرق الأوسط The Middle East Cover up في عام ١٩٧٥م بعد أن رفضته كثير من دور النشر البريطانية لأنه يبحث في جذور اللوبي الصهيوني في بريطانيا وعلى وجه التحديد في المؤسسات السياسية والاعلامية ، كما تعرض المؤلفان لاتهامات الصحيفة الصهيونية الصادرة من بريطانيا «جويش كرونكال» Jewish Chronicle وكذلك لضغوط المؤسسات الصهيونية الأخرى مثل مجلس

«نواب يهود بريطانيا» والذي يحق لأعضائه ترشيح أنفسهم ليصبحوا ممثلين عن الأحزاب السياسية البريطانية في مجلس العموم مما يكسبهم نفوذا قويا داخل هذا المجلس لا يتحقق للمثل الانجليزي ، ولقد استطاع كثير من اليهود الوصول إلى عدد من المراكز السياسية الهامة في الحكومة البريطانية عن طرق مجلس النواب اليهودي Board of Deputies of British Jews ولا تزال حكومة المحافظين الحالية تعمد في وزارة المالية والتجارة والصناعة وشؤون اسكتلندا على وزراء يهود إضافة إلى عدد آخر يتوزع بين مجلس اللوردات ، والمجالس البلدية المحلية .

(٢) الذين يجرؤون على الكلام

* من الشخصيات البريطانية التي عانت من ضغوط اللوبي الصهيوني ، شخصية رئيس مجلس بلدية لندن السابق «كين ليفينقستون» Ken Livingstone. S حيث عبر بصراحة في مناسبات عديدة عن رأيه في مجلس النواب اليهودي البريطاني وانتقد سيطرة اليهود المتطرفين والمنتمين إلى حزب «حيروت» على شؤونه ، كما انتقد ـــ أيضا ـــ في عام ١٩٨٢م الغزو الاسرائيلي للبنان على حد سواء .

* ولقد تمكن اللوبي الصهيوني من ممارسة نفوذه بطريق غير مباشر حتى أصدرت الحكومة البريطانية قرارا بإلغاء مجلس البلدية الذي يرأسه «ليفينقستون» وإبداله بمجلس آخر يختلف في تكوينه وصلاحياته عن المجلس السابق .

* ومن الكتاب الذين تعرضوا لحملات مشابهة الكاتبة الاسكتلندية «ماريون وول فسون» Marion Wool Fson والتي تنحدر من أصل يهودي بسبب كتابها الجرىء عن المناضل الفلسطيني بسام الشكعة والمعروف باسم «صورة فلسطيني» Portrait of Palestinian .

* لقد تعرضت «وول فسون» لحملات عديدة عن طريق الرسائل والمكالمات التليفونية والتي كانت تحذرها الاستمرار في كتابة تاريخ هذا الزعيم الفلسطيني الذي أبعدته السلطات الاسرائيلية من بلاد أجداده حسب تعبير الكاتبة نفسها .

* إن الحركة الصهيونية تستغل جميع الامكانات المتاحة لها في المجتمعات الغربية للتعتيم على الحقائق العلمية المجردة ، وتستخدم كل الأساليب الارهابية ضد أولئك الذين تحاول أقلامهم أن تسطر كلمة حق وإنصاف ولعله من واجب الصحافة العربية والاسلامية أن تكشف للفرد الأوروبي ما تحاول الصهيونية فرضه من قيود على فكره ، وهي بهذا تمل على انتهاك حقوقه المشروعة في أرضه وبين أفراد مجتمعه .

منظمة ايباك وصناعة القرار الأمريكي

* إن إغلاق المكتب الاعلامي الفلسطيني بواشنطن بقرار رسمي من الحكومة الأمريكية بعد أن أقره مجلس الشيوخ وتسابق الأعضاء الجمهوريين والديمقراطيين بتوقيع أسمائهم عليه ، يؤكد ذلك الموقف العدائي الذي التزم به اللوبي الأمريكي اليهودي ضد الأمة الاسلامية والعربية منذ قيام الكيان

الصهيوني الغاشم فوق الأرض العربية التي سلبت خيراتها وشرد أبناؤها في جميع أنحاء الدنيا ، لو كان لهذا اللوبي سلطة مطلقة لطمس اسم فلسطين من كتب التاريخ وجعل وجود الشعب الفلسطيني ضربا من الخيال والأسطورة الكاذبة ، ولا نستغرب ذلك فتلك العقيدة الصهيونية تجر المؤمنين بها من الشعوب الأخرى إلى ارتكاب صنوف من السلوك غير السوي ، والاقدام على المواقف المذهلة التي سوف ينظر إليها التاريخ الانساني في مستقبل الأيام على أنها رجعة بالانسان ـ نفسه ـ إلى عصور الظلام التي صودرت فيها تلك الحرية التي منحها الله إياه ليعبر بها عن كل ظلم يلحق به ولا يستطيع له دفعا .

** لقد برزَّ الأمريكيون قرارهم بإسكات الصوت الفلسطيني المعتدل بأن إغلاق المكتب من أولويات أهداف اللوبي الصهيوني «ايباك» وهو الرد الوحيد الذي تملكه الادارة الأمريكية عندما احتج سفراء العرب على هذا القرار الغريب والأغرب منه أن يأتي من شخصية مسؤولة في وزارة الخارجية الأمريكية مثل شخصية «ريتشارد مورفي» الذي كان من المتوقع أن يبدي مبررات تتفق مع أحكام العقل وحيثيات المنطق .

* أما الدول الغربية فأحزابها العمالية والاشتراكية التي تدَّعي الالتزام بقضايا العدالة والحرية هي الأكثر دفاعا عن الفكر الصهيوني وقضاياه ، وكمثال على ذلك فعندما اجتمعت دول عدم الانحياز في السنوات الأخيرة عارضت «استراليا» إدراج كلمة فلسطين في البيان الختامي للاجتماع كما استطاعت

الصهيونية أن تتسلل إلى أحزاب اليمين أو الأحزاب المحافظة في الغرب بصورة تدريجية ، وأصبح عدد اليهود المتكلمين باسم هذه الأحزاب أمرا ملفتا للنظر ، كما حدث في حزب المحافظين البريطاني الذي شغلت فيه شخصيات يهودية أو مازالت تشغل المناصب الحكومية الرسمية كوزارة المالية ، والداخلية ، والثقافة ، والتجارة ، والصناعة ، والعمل وشؤون اسكتلندا إضافة إلى وجود شخصيات يهودية دينية في مجلس اللوردات ومجلس أمناء هيئة الاذاعة البريطانية الرسمية B.B.C. كما يستحوذ اليهوديان الملتزمان روبرت ماكسويل وروبرت موردخ على قطاع كبير من المؤسسات الصحفية في بريطانيا واستراليا وكندا والولايات المتحدة .

* لقد ذكر أحد اليهود مرة في التليفزيون البريطاني أن عداء اليهود قضية تقليدية بين الشعب الألماني ،ولكن ماذا عن قضية التعاطف مع الصهيونية في بعض المجتمعات الغربية ، إنها قضية تقليدية ــ أيضا ــ ولكن ما هي دوافع هذه القضية وجذروها ؟

* إن الاعلام الاسلامي والعربي مدعو للنظر في هذه القضايا بمنهاج علمي دقيق يستطيع أن يتمكن من خلاله تلمس أوجه التوافق أو الاختلاف ومواضع التآثر والتأثير بين الفكرين الأوروبي والصهيوني ، بالمواقف السياسية والتوجهات الاعلامية إنما تتشكل ضمن اطر فكرية واجتماعية وتكون وليدة قناعات عقادية وحضارية .

جورباتشوف والصحافة الغربية

خصصت مجلة التايم الصادرة بتاريخ ٤ يناير ١٩٨٨م جزءا كبيرا من صفحاتها عن حياة الزعيم السوفيتي ميخائيل جورباتشوف ، بل اختارته من بين الشخصيات السياسية العالمية ليكون الشخصية الأكثر تأثيرا وجاذبية ، وقد حاولت المجلة أن تتعمق كثيرا في الحياة الشخصية للزعيم السوفيتي إلا أنها اعترفت بالعجز أمام بعض الأسئلة الخاصة بحياته العائلية مع أن العدد نفسه حمل مقالة خاصة عن شخصية زوجته نقلت صورا من طريقة مناقشتها له وخصوصا في الاجتماعات العامة التي تتطلب منها أن تكون أكثر هدوءا ومجاملة له — أي لزوجها — حسب تعبير المجلة .

وسارت صحيفة الصنداي تايمز على غرار المجلة السابقة فتحدثت في عددها الصادر بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩٨٧ عن المنحنى الجديد للتيار الاعلامي الغربي تجاه شخصية «جورباتشوف» فبينما كان الزعماء السابقون له يغلقون النوافذ بين بلدهم والبلدان الأوروبية الأخرى ، نجده يحاول فتح هذه النوافذ .

وتناولت الصحيفة كتاباته السياسية التي أصبحت تحظى بشهرة كبيرة في الأوساط الغربية ، بل إنها حققت مستوى عاليا من الانتشار بين طبقات المجتمع ، إلا أنه مما يلفت النظر أن مجلة «التايم» ذكرت إشارة عابرة تفيد أن جورباتشوف شارك في حملة عداء ضد السامية Anti-semitic تزعمها الرئيس السوفيتي ستالين — في عام ١٩٥٣م بينما تشير صحيفة

الصنداي تايمز أن مستوى حقوق الانسان قد تحسن في عهد جورباتشوف ، فلقد أطلق سراح ما يقارب ٢٧٥ سجينا ، وأن نوعا جديدا من الديمقراطية قد بدأ تنفيذه في الاتحاد السوفيتي وظهر ذلك في السماح لحوالي ٧٠٠٠ من اليهود بمغادرة البلاد ، ولا أظن أن الربط بين ما ورد في مجلة التايم وصحيفة الصنداي تايمز يحتاج إلى كثير من الذكاء فالاعلام الغربي يبحث مدققا في حياة الزعيم السوفيتي ليجد مدخلا مناسبا لاشعاره بتأنيب الضمير وهو في الوقت نفسه يهلل مرحبا بما يحلو له أن يسميه بالاتجاه الديمقراطي أو الانساني الجديد في — روسيا — وهو اتجاه لا يعني في حقيقة الأمر بأكثر من الحدب والعطف على الحركة الصهيونية داخل الاتحاد السوفيتي وإذا علمنا أن جزءا كبيرا من يهود أمريكا ينتمون أصلا للاتحاد السوفيتي ، ثم هاجروا إلى هذا العالم الغربي ، وأخذوا يمارسون تدريجيا نفوذهم السياسي والاقتصادي فإنه عندئذ نجد تفسيرا واضحا لهذه الضجة الاعلامية التي يحظى بها جورباتشوف في صحافة الغرب ، إنها كلمة الشكر يقدمها الغربيون للزعيم الشيوعي نيابة عن المجتمع اليهودي ، وإذا وجدنا تفسيرا لهذه الضجة الاعلامية التي تحمل لواءها كل أجهزة الاعلام الغربي فإننا لا نجد عذرا لبعض وكالات الاعلام العربي والاسلامي التي تسير خلف هذه الضجة الاعلامية الغربية فتظن جهلا أن عبارات حقوق الانسان تعني ذلك العدد الهائل من المسلمين الذين يعيشون تحت ديكتاتورية الحكم الشيوعي وتعسفه ، وإن الاتجاه الديمقراطي يراد به الاعتراف بحقوق جميع الشعوب

التي تنضوي تحت حكم الكرملين .

فهل ينتبه القائمون على صحافة عالمنا ووكالاته إلى هذا الخطأ الفادح الذي تترتب عليه كثير من الأضاليل التي عمد الاعلام الغربي إلى غرسها في أذهاننا ، ودس زيفها بين مجتمعاتنا المسلمة التي تحتاج إلى توعية بقضاياها المصيرية وتبصير بما يدسه لها أعداؤها .

نصيب الشعراء في جائزة نوبل

* قامت الدنيا ولم تقعد في صحافة الغرب بدأ بصحيفة «الأوبزيرفر» البريطانية وانتهاء بمجلة التايم الأمريكية ولم تكن هذه الضجة المفتعلة إلا احتفاء بالشاعر Joseph Brodsky جوزيف برودسكي الذي فاز بجائزة نوبل في الأدب لهذا العام فلقد أفردوا الصفحات لصورة الشخصية التي يبدو في بعضها مبتسما وفي البعض الآخر متأملا أما قصة حياته فقد تناولوها من كل جوانبها ، فهو ينتمي إلى أسرة من «لينينغراد» في الاتحاد السوفيتي حيث عاش هنا حتى عام ١٩٧٢م وهي السنة التي أبعد فيها إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي استقبلته استقبال الفاتحين ، فذلك الشاعر الذي كان نصيبه الطرد من المدرسة في مراحل تعليمه الأولى أصبح عضوا بارزا في جامعة «Michigan» ميتشيجن ثم منح الجنسية الأمريكية في عام ١٩٧٧ وأهلته كتاباته وأشعاره ليفوز بجائزة مؤسسة «آرثر» والتي تقدر بحوالي ٢٨ ألف دولار أمريكي .

* لقد سلك الاعلام الغربي أسلوبا غريبا في تقديمه للشاعر

برودسكي فهو يصفه بالانسانية أولا ، ثم يذكر عن شخصيته جملة من الصفات التي تكاد تجرده من بشريته ، وتضفي عليه شيئا من الطهر والقداسة ، فهو بارع في الأداء الشعري منذ أن كان في العشرين من عمره ، والشعر جنى عليه وقاده إلى تهمته بالخروج على التعاليم الاشتراكية فسجنته السلطات السوفيتية لمدة معينة ثم أطنقت سراحه بعد أن ثار الغرب ممثلا في زعمائه ومفكريه على هذا الصنيع المضاد للحقوق الانسانية .

وتسعى وسائل الاعلام الغربية ــ أيضا ــ إلى نفي السمة السياسية عن هذه الشخصية ، وهي تبرز ما ورد في أشعاره من نقد واستنكار بأن أى إبداع إنساني يتم إنجازه في مجتمع ديكتاتوري يمكن تصنيفه ضمن دائرة الفكر المعارض ولئن أرادت هذه الوسائل أن تنفي عن «برودسكي» أى سمة سياسية ، فإنها اعترفت بأن قصائده الشعرية أعادت الحياة إلى العديد من الكلمات الدينية التي اختفت في الحقبة «الستالينية» مثل الله ، الروح ، الضمير كما أكدت أن برودسكي لم يفقد شيئا من سماته الشخصية في الفكر واللغة والشكل أيضا فعلى الرغم من إجادته للغة الانجليزية فعملية الابداع عنه لا تتم إلا في إطار لغته الأصلية .

إن التكنيك الذي يستخدمه الاعلام الغربي يسعى ــ دائما ــ إلى إيجاد روح التعاطف عند الفرد الأوروبي مع فئة معينة من الناس دون سواها فكثير من المقالات التي تحدثت عن إنسانية وذكاء وخفة دم «برودسكى» تعمدت أن تغفل الحديث عن يهوديته وأن عملية نفيه ــ مع الاعتراف بدكتاتورية

النظام الشيوعي ــ ترتبط بتلك العقيدة التي تؤمن بها الطوائف اليهودية في كل مكان وزمان وهي : (تسلط على كل خير تنبته أرض الآخرين وتآمر مع صهيونيتك ضدهم) .

أما محاولة نفي السمة السياسية عن شخصية «برودسكي» فهو درء لهذا الاعلام من الوقوع في تناقض صريح ، فأولئك الشعراء والكتاب الذين تتعقبهم فاشية النظام العنصري في جنوب أفريقيا ونازية الحركة الصهيونية في أرض فلسطين ، يتعمد الغرب إهمالهم ، إن أبدعوا ، ولا يتحدث عن مآساتهم إن قتلوا أو عذبوا والحجة لهذا التنكر لابداعهم الأناني ومواقفهم الثابتة هو التزامهم بالاتجاه الوطني والفكر الغربي يدعي تجرد مقاييسه من الآثار الدينية أو الوطنية ، وهي حجة واهية تتداعى مع هذا الضجيج الذي افتعلته وسائل الاعلام حول شخصية «برودسكي» الذي فاز بجائزة نوبل تدعيما لموقفه الانشقاقي وإعجابا بفكره الديني اليهودي الذي تمثل فيما ترجم من أعماله الشعرية إلى اللغة الانجليزية .

وحتى تكتمل الصورة فقد منحت جائزة «نوبل للسلام» أيضا لرئيس جزيرة كوستاريكا تقديرا كما يدعي الاعلام الغربي لجهوده في إحلال السلام بين دول أمريكا الوسطى ، لكن بقي عليهم أن يعرفوا أن الآخرين يعلمون أن الجائزة منحت لهذه الجزيرة في ذكرى مرور عشرين عاما على احتلال اسرائيل لمدينة القدس ، فلقد تقدمت هذه الجزيرة عددا من مثيلاتها من الدول الانتهازية في نقل سفارتها من تل أبيب إلى القدس في أثناء حرب حزيران ١٩٦٧م .

واليوم يوم الوفاء والغرب على استعداد أن يكرم الأصدقاء نيابة عن الآخرين .

جائزة نوبل وقصر الاليزيه

* الحديث الذي يتناقله الناس عن السيطرة اليهودية على جائزة «نوبل» ليس فيه أي مبالغة بل إن كل مناسبة تتصل بهذه الجائزة تزيد من حقيقة هذا التسلط وتوجهاته السياسية ، كما حدث في العام الميلادي المنصرم عندما منحت الجائزة للشاعر اليهودي السوفيتي المنشق سياسيا «جوزيف برودسكي» ولكن حدثا مُهِماً جرى في هذا الشهر ولم نجد له ــ للأسف الشديد ــ أي أثر يذكر في صحافتنا الاسلامية والعربية ، ونوهت عنه بالمقابل صحيفة التايمز اللندنية في عددها الصادر بتاريخ الثامن عشر من يناير من العام الميلادي الجديد .

* أما الحدث فهو أن السياسي اليهودي «Elie Wiesle» وأحد الحائزين على جائزة نوبل أقام رابطة تهدف إلى تنظيم شؤون الفائزين بهذه الجائزة حيث يتوجب عليهم مناقشة الأمور التالية : حقوق الانسان .. نزع السلاح النووي .. المجاعة في العالم ، وانتشار مرض الايدز ، أما أعضاء الرابطة الذين ينتمون إلى ثمانية عشر بلدا ففيهم السياسي اليهودي «الدكتور هنري كيسنجر» الذي منحت له الجائزة في عام ١٩٧٣م ــ كما يدعون ــ لجهوده في إنهاء حرب فيتنام ــ وفي رأيي الشخصي ــ فإن الجائزة منحت له لجهوده الدائمة في تثبيت

دعائم الكيان الصهيوني والعالم اليهودي السوفييتي ـــ الدكتور «اندروسوخروف» الذي يتخذ العالم الغربي من قضيته الشخصية عاملا يضغط به على الدول الشيوعية لتقديم بعض التنازلات الهامة وزعيم النقابات المستقلة في «بولندا» الذي تستغل أجهزة الاعلام الغربي ـــ أيضا ـــ قضيته استغلالا دوليا .

لقد أرادت هذه النخبة الأدبية «شكلا» والسياسة «حقيقة» أن تختار مناسبة هامه لاجتماعها فلم تجد ـــ حسب تعبيرها ـــ ذكرى أروع وأعظم من تلك الذكرى التي ترتبط بتاريخ الشعب اليهودي ، وهي مرور ثلاثة وأربعين عاما على أجلاء اليهود من المعسكر النازي وهي القضية التي تستخدمها الحركة الصهيونية للضغط على العالم الغربي في تحقيق مزيد من الابتزاز المالي والمكاسب السياسية على حساب الشعب الفلسطيني .

أما المكان الذي اختير ليتمكن أعضاء الجائزة من إلقاء خطبهم الرنانة عن السلام المرتقب لهذا العالم على أيدي اليهود ، فلقد كفاهم الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران مؤونة ذلك لقد وضع تحت تصرفهم قصر «الاليزيه» المشهور ، ثم لم يكتف بذلك تبرع بنصف تكاليف ومنصرفات هذا المؤتمر البالغة «٤٧٠,٠٠٠» جنيه استرليني .

أما السؤال الذي لن تكون إجابته صعبة فهو لماذا أظهرت فرنسا أريحيتها وعطفها تجاه مؤتمر كهذا ؟ والاجابة على ذلك أن الانتخابات الفرنسية على الأبواب والرئيس ميتران يطمع في

تجديد مدة رئاسته والحل السحري ـــ حسب اعتقاد الأوروبيين ـــ عند بني يهودا .

* أما نحن هنا في بلاد المسلمين والعرب فعلينا أن نتبصر بأمورنا ونستفيد من الأولويات التي يهتم بها أعداؤنا ومستعمرو مقدساتنا إنهم يعملون ساسة ومفكرين وأدباء كل ما في جهدهم لخدمة أهدافهم الحضارية من تثبيت لهوية الشعب اليهودي ودراسة لتاريخه وإحياء للغته الكلاسيكية «اليديشية» ومحافظة على كل الفنون الأدبية المختلفة المتصلة بها ، في الوقت الذي يشكك فيه بعضنا بتاريخنا الاسلامي العظيم وازدراء لأدبنا القديم وطمس معالمه ومميزاته بحجة التحديث والتجديد .

* إن التاريخ لن يرحمنا إذا ما سلكنا طريقا مميتا كهذا واستمرأنا تهريجا باسم الفكر والأدب يدفعنا إليه أعداؤنا ونحن سادرون .

ــ قائمة بأهم المصادر والمراجع ــ

١ ــ العربية :

جارودي ــ روجيه .
ملف اسرائيل ــ دراسة للصهيونية السياسية ترجمة الأستاذ الدكتور مصطفى كامل فودة ، دار الشروق ــ ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣م .

جارودي ــ روجيه .
وعود الاسلام
ــ الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت ــ ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م .

سعيد ــ ادوارد
الاشراق
ــ المعرفة ــ السلطة ــ الانشاء ــ ترجمة كمال أبو ديب .
مؤسسة الأبحاث العربية ــ بيروت ــ ١٩٨٤م .

سوسه ــ أحمد
العرب واليهود في التاريخ .
العربي للاعلان والنشر والطباعة ــ دمشق .

عمر ــ محجوب
«شارون ــ هذا الرجل وحياته ــ»
مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ١٩٨٤م .

فندلي ــ بول
من يجرؤ على الكلام
شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م .

نويهض ــ عجاج .

بروتوكولات حكماء صهيون
طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ١٩٨٧م
وزان ــ عدنان محمد
الاستشراق والمستشرقون .
ــ سلسلة دعوة الحق ــ السنة الثالثة ، العدد ٢٤ مكة المكرمة ،
١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م .

٢ ــ الانجليزية :

* AMIS, _ KINGSLEY
HAROLD'S YEARS 1964-1976
LONDON _ 1977

* BRENNER, _ LENNI
THE IRON WALL
LONDON _ 1984

* CHILDS, DAVID
BRITAIN SINCE, 1945
LONDON AND NEW YORK, 1977

* COHEN _ STEVE
THAT'S FUNNY, YOU DON'T
LOOK ANTI _ SEMITIC
LONDON, 1984

* COSGRAVE, PATRICK
CARRINGTON A LIFE AND A POLICY
LONDON, 1985

* GEORGE, DAVID, LIOYD
WAR MEMOIRS, LONDON

* GILBERT, MARTIN
JEWS HOPE
U.S.A, 1985

* GOOD MAN, PAUL
THE JEWISH NATIONAL HOME

LONDON, 1943

* HIRST, DAVID
THE GUN AND THE OLIVE BRANCH
LONDON, 1984

* HOWARDM, ANTHONY
THE CROSS MAN DIARIES
LONDON, 1979

* LEWIS, BERNARD
THE JEWS OF ISLAM
LONDON, 1981

* LEWIS, BERNARD
LONDON, 1986

* MAYHEW, CHRISTOPHER
THE MIDDLE EAST COVER UP
LONDON, 1975

* PYM _ FRANCIS
THE POLICTS OF CONSENT
LONDON, 1984

* AL-RAHEB _ HANI
THE ZIONIST CHARACTER IN THE ENGLISH NOVEL
LONDON, 1985

* REIN HARZ _ JEHUDA
CHAIM WEIZ WANN
THE MARKING OF ZIONIST LEADER
OXFORD, 1985

* RUNCIMAN, STEVEN
A HISTORY OF THE CRUSADES
CAMBRIDGE, 1951

* SEA MAN, L.C.B
POST _ VICTORIAN BRITAIN 1902-1951
LONDON, 1982

* SHAHAK, ISRAEL
ISRAEL, GLOBEL ROLE
WEAPONS FOR REPRESSION

U.S.A, 1982

* SHAHAK, ISRAEL
THE ZIONIST PLAN FOR THE MIDDLE EAST 1982,
U.S.A
* STEPHENS, MARK
UN SKILLED LABOURER AND WORLD
STATES MAN, ERNEST BEVIN
LONDON, 1981
* VITAL, DAVID
THE ORIGINS OF ZIONISM OXFORD, 1980
* WAINES, DAVID
ASENTENCE OF EXILE, THE PALESTINE/ISRAEL
CONFLICT, 1897-1977
LONDON, 1977

الفهرست

صدر من هذه السلسلة

١ ــ تأملات في سورة الفاتحة ــ الدكتور حسن باجودة
٢ ــ الجهاد في الاسلام مراتبه ومطالبه ــ الأستاذ أحمد محمد جمال
٣ ــ الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ــ الأستاذ نذير حمدان
٤ ــ الاسلام الفاتح ــ الدكتور حسين مؤنس
٥ ــ وسائل مقاومة الغزو الفكري ــ الدكتور حسان محمد مرزوق
٦ ــ السيرة النبوية في القرآن ــ الدكتور عبد الصبور مرزوق
٧ ــ التخطيط للدعوة الاسلامية ــ الدكتور محمد علي جريشة
٨ ــ صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية ــ الدكتور أحمد السيد دراج
٩ ــ التوعية الشاملة في الحج ــ الأستاذ عبد الله بوقس
١٠ ــ الفقه الاسلامي آفاقه وتطوره ــ الدكتور عباس حسن محمد
١١ ــ لمحات نفسية في القرآن الكريم ــ د. عبد الحميد محمد الهاشمي
١٢ ــ السنة في مواجهة الأباطيل ــ الأستاذ محمد طاهر حكيم
١٣ ــ مولود على الفطرة ــ الأستاذ حسين أحمد حسون
١٤ ــ دور المسجد في الاسلام ــ الأستاذ محمد علي مختار
١٥ ــ تاريخ القرآن الكريم ــ الدكتور محمد سالم محيسن
١٦ ــ البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام ــ الأستاذ محمد محمود فرغلي
١٧ ــ حقوق المرأة في الاسلام ــ الدكتور محمد الصادق عفيفي
١٨ ــ القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته [١] ــ الأستاذ أحمد محمد جمال
١٩ ــ القراءات أحكامها ومصادرها ــ الدكتور شعبان محمد اسماعيل
٢٠ ــ المعاملات في الشريعة الاسلامية ــ الدكتور عبد الستار السعيد
٢١ ــ الزكاة فلسفتها وأحكامها ــ الدكتور علي محمد العماري
٢٢ ــ حقيقة الانسان بين القرآن وتصور العلوم ــ الدكتور أبو اليزيد العجمي
٢٣ ــ الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا ــ الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٢٤ ــ الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ــ الدكتور عدنان محمد وزان
٢٥ ــ الاسلام والحركات الهدامة ــ معالي عبد الحميد حمودة

٢٦ـ تربية النشء في ظل الاسلام	الدكتور محمد محمود عمارة
٢٧ـ مفهوم ومنهج الاقتصاد الاسلامي	الدكتور محمد شوقي الفنجري
٢٨ـ وحي الله	الدكتور حسن ضياء الدين عتر
٢٩ـ حقوق الانسان وواجباته في القرآن	حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
٣٠ـ المنهج الاسلامي في تعليم العلوم الطبيعية	الأستاذ محمد عمر القصار
٣١ـ القرآن كتاب أحكمت آياته [٢]	الأستاذ أحمد محمد جمال
٣٢ـ الدعوة في الاسلام عقيدة ومنهج	الدكتور السيد رزق الطويل
٣٣ـ الاعلام في المجتمع الاسلامي	الأستاذ حامد عبد الواحد
٣٤ـ الالتزام الديني منهج وسط	عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني
٣٥ـ التربية النفسية في المنهج الاسلامي	الدكتور حسن الشرقاوي
٣٦ـ الاسلام والعلاقات الدولية	الدكتور محمد الصادق عفيفي
٣٧ـ العسكرية الاسلامية ونهضتنا الحضارية	اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨ـ معاني الأخوة في الاسلام ومقاصدها	الدكتور محمود محمد بابللي
٣٩ـ النهج الحديث في مختصر علوم الحديث	الدكتور علي محمد نصر
٤٠ـ من التراث الاقتصادي للمسلمين	الدكتور محمد رفعت العوضي
٤١ـ المفاهيم الاقتصادية في الاسلام	د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
٤٢ـ الأقليات المسلمة في أفريقيا	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٣ـ الأقليات المسلمة في أوروبا	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٤ـ الأقليات المسلمة في الأمريكتين	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٥ـ الطريق إلى النصر	الأستاذ محمد عبد الله فودة
٤٦ـ الاسلام دعوة حق	الدكتور السيد رزق الطويل
٤٧ـ الاسلام والنظر في آيات الله الكونية	د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨ـ دحض مفتريات	د. البدراوي عبد الوهاب زهران
٤٩ـ المجاهدون في فطاني	الأستاذ محمد ضياء شهاب
٥٠ـ معجزة خلق الانسان	الدكتور نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١ـ مفهوم القيادة في إطار العقيدة الاسلامية	الدكتور سيد عبد الحميد مرسي
٥٢ـ ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربي والماركسي	الأستاذ أنور الجندي
٥٣ـ الشورى سلوك والتزام	الدكتور محمد أحمد البابلي
٥٤ـ الصبر في ضوء الكتاب والسنة	أسماء عمر فدعق
٥٥ـ مدخل إلى تحصين الأمة	الدكتور أحمد محمد الخراط

٥٦ـ القرآن كتاب أحكمت آياته [٣] - - - - الأستاذ أحمد محمد جمال
٥٧ـ كيف تكون خطيباً - - - - الشيخ عبد الرحمن خلف
٥٨ـ الزواج بغير المسلمين - - - - الشيخ حسن خالد
٥٩ـ نظرات في قصص القرآن - - - - محمد قطب عبد العال
٦٠ـ اللسان العربي والاسلامي معاً في مواجهة التحديات الدكتور السيد رزق الطويل
٦١ـ بين علم آدم والعلم الحديث - - - - الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي
٦٢ـ المجتمع الاسلامي وحقوق الانسان - - - - الدكتور محمد الصادق عفيفي
٦٣ـ من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢] - - - - الدكتور رفعت العوضي
٦٤ـ تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد - - - - الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة
٦٥ـ لماذا وكيف أسلمت [١] - - - - الشهيد أحمد سامي عبد الله
٦٦ـ أصلح الأديان عقيدة وشريعة - - - - الأستاذ عبد الغفور عطار
٦٧ـ العدل والتسامح الاسلامي - - - - الأستاذ أحمد المخزنجي
٦٨ـ القرآن كتاب أحكمت آياته [٤] - - - - الأستاذ أحمد محمد جمال
٦٩ـ الحريات والحقوق الاسلامية - - - - محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٧٠ـ الانسان الروح والعقل والنفس - - - - الدكتور نبيه عبد الرحمن عثمان
٧١ـ كتاب موقف الجمهوريين من السنة النبوية - - الدكتور شوقي بشير
٧٢ـ الاسلام وغزو الفضاء - - - - الشيخ محمد سويد
٧٣ـ تأملات قرآنية - - - - الدكتورة عصمة الدين كركر
٧٤ـ الماسونية سرطان الأمم - - - - الأستاذ أبو إسلام أحمد عبد الله
٧٥ـ المرأة بين الجاهلية والاسلام - - - - الأستاذ سعد صادق محمد
٧٦ـ استخلاف آدم عليه السلام - - - - الدكتور علي محمد نصر
٧٧ـ نظرات في قصص القرآن [٢] - - - - محمد قطب عبد العال
٧٨ـ لماذ وكيف أسلمت [٢] - - - - الشهيد أحمد سامي عبد الله
٧٩ـ كيف نُدَرِّس القرآن لأبنائنا - - - - الأستاذ سراج محمد وزان
٨٠ـ الدعوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ - - - - الشيخ أبو الحسن الندوي
٨١ـ كيف بدأ الخلق - - - - الأستاذ عيسى العرباوي
٨٢ـ خطوات على طريق الدعوة - - - - الأستاذ أحمد محمد جمال
٨٣ـ المرأة المسلمة بين نظرتين - - - - الأستاذ صالح محمد جمال

